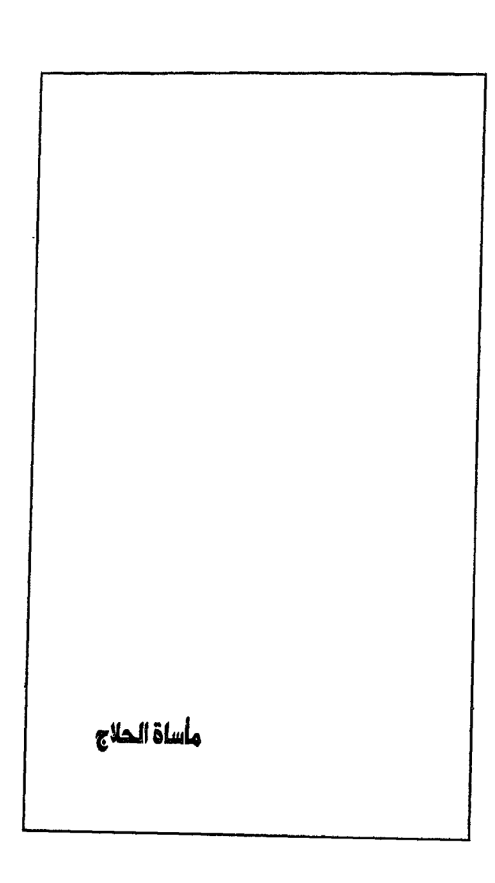


مأساة الحلاج

صلاح عبد الصبور

الهيئة المصرية
العامة للكتاب


مأساة الحلاج



مهرجان القراءة للجميع ٩٦

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(الأعمال الإبداعية)

ماساة الحلاج
صلاح عبدالصبور

الغلاف
للفنان جمال قطب

الانجاز الطباعى والفنى
محمود الهندى

الجهات المشتركة:
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التعليم
وزارة الحكم المحلى
المجلس الأعلى للشباب والرياضة
التنفيذ: هيئة الكتاب

المشرف العام
د. سمير سرحان

مأساة الحلاج

صلاح عبدالصبور

على سبيل التقديم...

لأن المعرفة اهم من الثروة واهم من القوة فى عالمنا المعاصر وهى الركيزة الأساسية فى بناء المجتمعات لمواكبة عصر المعلومات.. من هنا كان مهرجان القراءة للجميع دلالة على الرغبة الطموحة فى تنمية عالم القراءة لدى الأسرة المصرية أطفالاً وشباباً ورجالاً ونساءً..

وكان صدور مكتبة الأسرة ضمن مهرجان القراءة للجميع منذ عام ١٩٩٤ إضافة بالغة الاهمية لهذا المهرجان كاضخم مشروع نشر لروائع الأدب العربى من اعمال فكرية وإبداعية وايضاً تراث الإنسانية الذى شكل مسيرة الحضارة الإنسانية مما يعتبر مواجهة حقيقية للأفكار المدمرة.

هكذا كانت مكتبة الأسرة نافذة مضيئة لشباب هذه الأمة على منافذ الثقافة الحقيقية فى الشرق والغرب وعلى ما أنتجته عبقرية هذه الأمة عبر مسيرتها التنويرية والحضارية..

إن مئات العناوين وملايين النسخ من اهم منابع الفكر والثقافة والإبداع التى تطرحها مكتبة الأسرة فى الأسواق بأسعار رمزية أثبتت التجربة أن الأيدى تتخاطفها وتنتظرها فى منافذ البيع ولدى باعة الصحف لهو مظهر حضارى رائع يشهد للمواطن المصرى بالجدية اللازمة والرغبة الأكيدة فى الإسهام فى ركب الحضارة الإنسانية على ان ياخذ مكانه اللائق بين الأمم فى عالم اصبحت السيادة فيه لمن يملك المعرفة وليس لمن يملك القوة.

د. سمير سرحان

الجزء الأول



المنظر الأول

الساحة فى بغداد . فى عمق المشهد الأيمن جذع شجرة يتعامد عليه فرع قصير منها . لا يوحى المشهد بالصليب التقليدى . بل بجذع شجرة فحسب . معلق عليه شيخ عجوز . تضىء مقدمة المسرح ليبرز ثلاثة من المتسكعين .

التاجر : انظر .. ماذا وضعوا فى سكتنا

الفلاح : شيخ مصلوب
ما أغرب ما نلقى اليوم

الواعظ : يبدو كالغارق فى النوم

التاجر : عيناه تنسكبان على صدره

الواعظ : وكأن ثقلت دنياه على جفنيه
أو غلبته الأيام على أمره

التاجر : فحنا الجذع المجهود ، وحدق فى الترب

الواعظ : ليفتش فى موطىء قدميه عن قبره

أجعلها فى الجمعة القادمة

موعظتى فى مسجد المنصور

« تضىء مقدمة المسرح اليمنى ، حيث نجد فيها مجموعة من الناس يتقدمهم مقدمهم »

فلنسأل هـذا الجمع ...

يا قـوم ...

« يتقدمون نحوه خطوة فى حركات بليدة »

من هـذا الشيخ المصلوب ؟

مقدم المجموعة : أحـد الفقراء

الواعـظ : هل تعرف من قتـله ؟

المجموعـة : نحن القتـله

الواعـظ : لكنكمو فقراء مثـله

المجموعـة : هـذا يبدو من هيئتنا

مقدم المجموعة : انظر .. انى أعمى
أتسول فى طرقات الكرخ

واحدمن المجموعة : « يتقدم خطوة . وهو يتحدث وكأنه يقدم نفسه ، ثم يتراجـع بعد أن يتم كلمتـه . ويتكرر هذا مع كل منهم »

وأنـا قـراد

آخـــر : وأنـا حـداد

ثالـث : وأنـا حجـام

رابـع : وأنـا خدام فى حمام

خـامس : وأنـا نجـار

سـادس : وأنـا بيطـار

التـاجر : هل فيكم جـلاد ؟

المجموعـة : « تتبادلون النظر ، ثم يقولون فى صـوت واحد »

لا .. لا ..

التـاجر : أبأيديكم ... ؟

المجموعـة : بل بالكلمـات

التـاجر : « ضاحكا ، وناظرا الى زميله »

قتلوه بالكلمـات ...

هـا .. هـا .. ها ..

مقدم المجموعة : أقتلناه حقـا بالكلمات ... ؟

لا ندرى ، واليكم ما كان
فى هـذا اليوم ...

المجموعــــة : صفونا .. صفا .. صفا

الأجهر صـوتا والأطول
وضعوه فى الصف الأول
ذو الصوت الخافت والمتوانى
وضعوه فى الصف الثـانى
أعطوا كلا منا دينارا من ذهب قانى
براقا لم تلمسه كف من قبل
قالوا : صيحوا .. زنديق كافر
صحنا زنديق .. كافر
قالوا : صيحوا فليقتل انـا نحمـل دمه فى رقبتنـا
فليقتل انـا نحمل دمه فى رقبتنا
قالوا : امضـوا فمضينا
الأجهر صـوتا والأطول
يمضى فى الصف الأول
ذو الصوت الخافت والمتوانى
يمضى فى الصف الثـانى

« مع الفاظهم الأخيرة يخرجون من المسرح »

التـــاجر : هــل أدركنــا شــيئا

« يضيء جانب آخر من المسرح ، وتبدو منه ، مجموعة من الصوفية »

الواعـــظ : لا ، أنــا لم أفهم

الفــــلاح : فلنسأل هــذا الجمع

من أنتم ... ؟

مجموعة الصوفية : نحن القتــلة

أحببنــاه ، فقتلنــاه

الواعـــظ : لا نلقى فى هذا اليوم سوى القتله

ولعلكم أيضــا حين قتلتم هــذا الشيخ المصــلوب

المجموعـــة : ... قتلناه بالكلمــات

الفــــلاح : زاد الأمر غرابه !

المجموعـــة : أحببنــا كلمــاته

أكثر مما أحببنــاه

فتركناه يموت لكى تبقى الكلمات

التــــاجر : من أنتم ؟

المجموعـــة : أصحاب طريق مثله

الواعـــــظ : هل خفتم لمـا صاح الفقراء
فنكرتم أمره ؟
المجموعـــة : خفنا .. لا .. لا ..
لا يخشى الموت سوى الموتى
أنفذنا ما أوصانا به
الواعـــــظ : أوصـاكم به .. ؟
مجموعة الصوفية : كنا نلقاه بظهر السوق عطاشا فيروينا ..
من مـاء الكلمـات
جوعى ، فيطاعمنـا من أثمـار الحكمـة
وينادمنا بكئوس الشوق الى العرس النورانى
الواعـــــظ : عجبـا لا أفهـم !
« ملتفتـا الى زميلـه »
هل تفهم أنت .. وأنت ؟
« يهـزان رأسـيهما »
مقدم المجموعة : لا تبغ الفهم ... اشعر وأحس
لا تبغ العلم ... تعرف
لا تبغ النظر ... تبصر

هــذى كانت كلمــاته

الواعـــــظ : كلمات تدعوكم أن تتخلوا عنه

مقدم المجموعة : كان يقول :

اذا غسلت بالدماء هامتى وأغصنى

فقد توضأت وضوء الأنبياء

كان يريد أن يموت ، كى يعود للسماء

كأنه طفل ســماوى شريد

قد ضل عن أبيه فى متاهة المساء

كان يقول :

كأن من يقتلنى محقق مشيئتى

ومنفذ ارادة الرحمن

لأنه يصوغ من تراب رجل فان

اســطورة وحكمــة وفكره

كان يقول :

ان من يقتلنى سيدخل الجنان

لأنــه بسيفه أتم الدوره

لأنه أغاث بالدما اذ نخس الوريد

شجيرة جديبة زرعتها بلفظى العقيم

فدبت الحياة فيها ، طالت الأغصان .
مثمرة تكون فى مجاعة الزمـان
خضراء تعطى دون موعد ، بلا أوان
وحينما أسلمه السلطان للقضاه
ورده القضـاة للسلطان
ورده السـلطان للسجان
ووشيت أعضاؤه بثمر الدمـاء
تم له ما شـاء
هل نحرم العـالم من شهيد ؟
هل نحرم العـالم من شهيد ؟

الواعـــظ : أو لم يحزنكم فقده .. ؟

المجموعـــة : أبكانا أنـا فارقنـاه
وفرحنا حين ذكرنا أنـا علقناه فى كلماته
ورفعناه بهـا فوق الشجره

أفراد المجموعـة : وسنذهب كى نلقى ما استبقينا منها
فى شق محاريث الفلاحين
وتخبئها بين بضاعات التجار

ونحملها للريح السواحة فوق الموج
وسنخفيها فى أفواه حداة الابل ...
الهائمة على وجه الصحراء
وندونها فى الأوراق المحفوظة بين
طوايـا الثوب
وسنجعل منها أشعارا وقصائد

المجموعـــة : قل لى .. ماذا كانت تصبح كلماته
لو لم يستشهد ؟

« يغادرون المسرح مع الأبيـات الأخـيرة من أول » :

« وســنذهب ... »

« يدخـل من خلف الشـجرة شيخ فى يـده وردة »

التـــاجر : من هــذا ؟

الواعـــظ : هذا الشبلى .. شيخ الزهاد
كان له اقطـاع فى قريتنا
وتخلى عنه لكى يمضى فى طرق الصوفيه
فلننظر ما يفعل

الفـــلاح : قد نعرف عندئذ ما القصه

الشـــــبلى : يا صاحبى وحبيبى

« أو لم ننهك عن العالمين »

فمـــا انتهيت

قد كنت عطرا نائما فى وردته

لم انســكبت ؟

وردة مكنونة فى بحرها

لم انكشــفت ؟

وهل يساوى العالم الذى وهبته دمك

هــذا الذى وهبت ؟

سرنا معا على الطريق صاحبين

أنت ســبقت

أحببت حتى جــدت بالعطــاء

لكننى ضننت .

حين رأيت النور تقت للرجوع

ها أنت قــد رجعت

أعطيك بعض ما وهبت للحياة ..

بعض ما أعطيت

« يلقى اليه وردة حمراء »

ربــاه لا أستطيع أن أمد ناظرى
يجول فى روحى وفى خواطرى
لو كان لى بعض يقينك
لكنت منصــوبا الى يمينك
لكننى استبقيت حينما امتحنت عمرى
وقلت لفظا غامضــا معناه
حين رموك فى أيدى القضــاه
أنــا الــذى قتلتــك
أنــا الــذى قتلتــك
« يخــرج »
الفـــــلاح : عجبا لم ندرك شـيئا
التـــــاجر : لن ترضى زوجتى عنى الليلة
الواعـــــظ : ضاعت عظتى الا أن أتبع هــذا الشيخ الطيب فيحدثنى بالقصــة
يا شيخ ... ما القصة ... ما القصة ...
من قاتل هذا الرجل المصلوب ؟ ..
هل ندركه ، فيحدثنا .. ؟
« ينطلقون خلفــه »
(ســـتار)

المنظر الثانى

« بيت الحلاج »

« الحلاج وصديقه الشبلى يتحدثان ، وقد ارتدى كل منهما خرقة الصوفية ، شيخان فى أواخر العمر »

الشبلى : ... يا حلاج ، اسمع قولى

لسنا من أهل الدنيا ، حتى تلهينا الدنيا

أسرعنا لله الخطو العجلان ، فلما أضنانا

الشوق الظمآن

طرنا بجناحين

ولمسنا أهداب النور

هل نبصر عندئذ من قلب غمامتنا الفضيه

الا أشباحا حائلة تذوى فى وهج العرفان

وظلالا زائلة لا تمسكها الأجفان.

الحلاج : لكن .. يا أخلص أصحابى ، نبئنى ...

كيف أميت النور بعينى
هذى الشمس المحبوسة فى ثنيات الأيام ؟
تثاقل كل صباح ، ثم تنفض عن عينيها النوم
ومع النوم ، الشـفقه
وتواصل رحلتها الوحشية فوق الطرقات
فوق الساحات ، الخانات ،المـارستانات ،
الحمامـات
وتجمع من دنيـا محترقـه
بأصابعها الحمراء الناريـة
صورا ، أشباحا ، تنسج منها قمصانا ،
يجرى فى لحمتها وسداها الدم
فى كل مساء تمسح عينى بها
توقظنى من سبحات الوجـد
وتعود الى الحبس المظـلم
قـل لى يا شـبلى
أأنـا أرمـد ؟

الشـبلى : لا ، بل حدقت الى الشمس
وطريقتنا أن ننظر للنور الباطن

ولذا ، فأنا أرخى أجفانى فى قلبى
وأحدق فيه ، فأسعد
وأرى فى قلبى أشجارا ، وثمارا
وملائكة ، ومصلين ، وأقمارا
وشموسا خضراء وصفراء وأنهارا
وجواهر من ذهب ، وكنوزا ، من ياقوت
ودفائن وتصاوير .
كل فى أعلى سمته
أو فى أبهى هيئاته

الحلاج : هل تدرى يا شيخى الطيب
لم نور ربى قلبك ؟

الشبلى : هذا حالى يا حلاج
لن تحسدنى ومعاذ أخوتنا أن يخطر فى بالك
أن تحصى ما يلقى عبد من نعمة مولاه
لكن لا تسألنى أيضا ... ما يدرينى ؟
أحوال الصوفيين مواهب

الحارس : لا ، انى أشرح لك

لم يختار الرحمن شخوصا من خلقه
ليفرق فيهم أقباسا من نوره
هذا ، ليكونوا ميزان الكون المعتل
ويفيضوا نور الله على فقراء القلب
وكما لا ينقص نور الله اذا فاض على أهل النعمة
لا ينقص نور الموهوبين اذا ما فاض على الفقراء

الشبلى : لا ، يا حلاج
انى أخشى أن أهبط للناس
قد أبسط أجفانى فوق الدنيا
فأرى ، يسراها ، اتمنى النعمى واليسرى
وأرى عسراها ، أتوقى العسرى
ويموت النور بقلبى

الحلاج : هبنا جانبنا الدنيا
ما نصنع عندئذ بالشر ؟

الشبلى : الشر

ماذا تعنى بالشر ؟

الحـــــلاج : فقر الفقراء

جوع الجوعى ، فى أعينهم تتوهج ألفـاظ
لا أوقن معناها

أحيانا أقرأ فيهـا
« ها أنت ترانى
لكن تخشى أن تبصرنى
لعن الديـان نفاقـك »
أحيانا أقرأ فيهـا
« فى عينـك يذوى اشـــفاق ، تخشى أن
يفضـح زهـوك
ليسامحك الرحمن »
قد تدمع عينى عندئذ ، قد أتألم
أما ما يملأ قلبى خوفا ، يضنى روحى فزعا
وندامـه

فهى العين المرخـاة الهدب
فوق استفهام جـارح
« أين الله » ... ؟

والمسجونون المصفودون يسوقهمو شرطى
مذهوب اللب
قد أشرع فى يده سوطا لا يعرف من فى
راحته قد وضعه
من فوق ظهور المسجونين الصرعى قد رفعه
ورجال ونساء قد فقدوا الحرية
تخذتهم أرباب من
دون الله عبيدا سخريا
يا شبلى
إلشر استولى فى ملكوت الله
حدثنى .. كيف أغض العين عن الدنيا
الا أن يظلم قلبى ؟

الشبلى : مهلا .. مهلا
بل أنت الآن على حافة أن يظلم قلبك

الحلاج : لا ، بل انى أتنور من رأسى حتى قدمى

الشبلى : صمتا ، واليك جوابك كى ترتد الى نفسك
هل تسألنى من ذا صنع الفقر ؟
من ألقى فى عين الفقراء ؟

كلمــات تفزع من معناها
واليك جواب ســؤالك .
الظــلم ...
هل تسألنى من ذا صــنع القيــد الملعون ،
وأنبت سوطا فى كف الشرطى ؟
واليك جواب ســؤالك :
الظــلم
هل تسألنى من ذا صنع الاستعباد ؟
الظــلم ...
لكنى ألقى فى وجهــك
بســؤال مثل ســؤالك
قل : من صــنع الموت ؟
قل : من صنع العلة والداء ؟
قل : من وســم المجذومين ؟
والمصروعين ؟
قل : من ســمل العميان ؟ .
من مد أصابعه فى آذان الصم ؟
من شــد لسان البكم ؟

من سود وجه السود ؟
من صفر وجه الصفر ؟
من ألقانا فى هذى الدنيا مأسورين
لنغص بمشربنا ، ونشاك بمطعمنا
تتنفس أبشع رائحة مصاعدة من رجع
حلوق الموتى
الموتى الأحياء المقتولين القتلة
الكذابين الخوانين ، لصوص الأطفال
ومنتهكى الحرمات ، وتجار الدم
وزناة الليل وقوادى القرباء
وجباة بيوت المال
ومرابيى الأسواق وبياعى الخمر
من ألقانا بعد الصفو النورانى
فى هذا الماخور الطافح
من .. من .. ؟

الحلاج : لا .. لا .. لا أجرؤ
أتريد تقول ..
لا .. لا ..

لا تملأ نفسى شكا يا شبلى

الشبلى : بل انى أملأها علما ويقينا
يا حلاج
الشر قديم فى الكون
الشر أريد بمن فى الكون
كى يعرف ربى من ينجو ممن يتردى
وعلينا أن يتدبر كل منا درب خلاصه
فاذا صادفت الدرب فسر فيه
واجعله سرا ، لا تفضح سرك

الحلاج : يا شبلى
دعنى أتأمل فيما قد قلت الآن
ها أنت تزلزلنى فى دارى
والسوق يزلزلنى ان أترك دارى
كلماتك تجذبنى يمنه ...
وعيونى تجذبنى يسره ..

« مناد ينادى بالخارج »

ابراهيم : هل أدخل يا شيخى ؟

الحـــــلاج : ما أجمل خلوة روحينا يا شبلى
ما أحلى أن تتكاشف ، لكن الأيام ضنينه
ومواجـدنا لا تنفـد
فليشـهدنا ابراهيم
هل تعرفه ، شاب من أهل الله ...

الشـــبلى : وأحبـه

الحـــــلاج : ادخل يا ابراهيم

« يدخل ابراهيم بن فاتك ، منزعج الخـاطر مسرعا »

الحـــــلاج : ماذا تطوى فى قلبك حتى فاض على سيماك
هدىء من روعك ، فالدنيا عند الشبلى
فى خير ما دمنـا فى خير

ابراهيـــم : ما أصبحنا فى خير بعد الآن
قد كنت أزور اليوم القاضى ابن سريج
نبأنى أن ولاة الأمر يظنون بك السوء ...

الحـــــلاج : بى يا ابراهيم ؟ ..

ابراهيـــم : .... ويقولون

هذا رجل يلغو فى أمر الحكام
ويؤلب أحقـاد العامـة
ورجـائى أن أنبيك رجاءه
بالحيطـة والكتمـان

الحـــلاج : ماذا نقموا منى ؟

أترى نقموا منى أنى أتحدث فى خلصائى
وأقول لهم ان الوالى قلب الأمة
هل تصلح الا بصـلاحه
فاذا وليتم لا تنسوا أن تضعوا خمر السلطة
فى أكواب العدل ؟
أترى نقموا منى تدبيرى رأيى فى أمر الناس
اذ أشهدهم يمشون الى الموت
لكن توجههم للموت يباعدهم عن رب الموت

ابراهيـــم : زعموا أن قد أرسلت رسائل سريه

لأبى بكر المـاذرائى ، والطولونى ، ولحمد القنـائى
وسواهم ممن يطمح للسلطه

الحـــــلاج : هم بعض وجوه الأمــه
وهمو أيضا خلصائى ، أحبابى
وعدونى ان ملكوا الأمر
أن تحلو سيرتهم ويعفوا عن سقط الفعل
أن يعطوا الناس حقوق الناس على الحكام
فنجاوبهم بحقوق الحكام على الناس
هم زهرة آمالى فى هذا العالم يا ابراهيم

الشـــــبلى : يا حــلاج
لا أدرى للصوفى صديقا الا نجوى الليل
وبكاء الخوف من الدنيا
وأناشيد الوجد المشبوب وآهات الذل
وفتوح المحبوب بنور الوصل
فاذا ثقلت فى جنبيه الوحده
فليلزم أهل الخرقة ، أبناء الفاقه
ممن قنعوا باليأس عن الآمــال
طرحوا الانكار ببحر التسليم
حجبوا عن أعينهم هم الرؤيــه
قرآوا ما لم تره العين

قل لى .. يا حلاج
أوثقت بأن وجوه الأمة ممن تعرف
ان ولوا ظلوا أهـل موده ؟

الحـــلاج : لا يعنينى أن يرعوا ودى أو ينسوه
يعنينى أن يرعوا كلمـاتى

الشـــبلى : بل ما يدريـك بأنهمو ان ولوا تسـكرهم خمـر السـلطة
وبأنهمو ما التفوا حولك
الا لكراهتهم من دبر لك

الحـــلاج : قد خبت اذن ، لكن كلماتى ما خابت
فستأتى آذان تتأمل اذ تسمع
تنحدر منها كلماتى فى القلب
وقلوب تصنع من ألفاظى قدره
وتشـد بها عصب الأذرع
ومواكب تمشى نحو النور ، ولا ترجع
الا أن تسقى بلعـاب الشمس
روح الانسان المقهور الموجع

ابراهيـم : مولاى

أخشى أن يدركك الكيد الظالم
مـاذا تنوى .. ؟

الحـــلاج : ما يرضاه الرحمن لمخلوق فى صورته ، ذى روح متصف بصفاته

ابراهيــم : هل يقصـد مولاى خراسان
ويظل بها حتى يهدأ عنه السعى المحموم ؟

الحـــلاج : خراسان .. خراسان
لينور قلبك ربى ، يا ابراهيم
أخراسان .. الجنه
كى يقصدها من أضنته الدنيا ؟
هل ثمت وصفاء بخراسان
كى يقصدها من أمرضه الظلم ؟

ابراهيــم : مولاى
الظلم بكل مكان
والجنة آخر سعى الانسان
لا أول سـعيه
ها أنت وحيد ، شـيخ مجهود ، أضـناك التطـواف

فى أرجاء الدنيا طلبا للفطنه
ورجعت لتلقى الحمق يسود بكل مكان
يتحرش بك ..
آلاف الحمقى .. آلاف الآلاف
أعداؤنا كثر يا مولاى ؟

الحـــــلاج : لكن صحابي أكثر من أعدائى

ابراهيـــــم : لا أبصر مخلوقا منهم يا مولاى
الا شيخى الشبلى .. وأنــا
وكلانا مسكين يتحسس خطوه

الحـــــلاج : أصحابى أكثر من أن تحصيهم يا ابراهيم
أصحابى آيات القرآن وأحرفه
كلمات المحزون المهجور على جبل الزيتون
أحياء الاموات ، الشهداء الموعودون ،
فرسان الخيل البلق ذوو الأثواب الخضراء
آلاف المظلومين المنكسرين

ابراهيـــــم : يا مولاى
فى عصر ملتاث ، قاس ، وضنين

لن يصنع ربى خارقة أو معجزة ، كى ينقذ
جيلا من هلكى
قد ماتوا قبل الموت

الحـــــلاج : يا ولدى ، كم أخطأت الفهم !
لا أطــلب من ربى أن يصنع معجــزة ، بل
أن يعطينى جلدا
كى أدرك أصحابى عنده

ابراهيــــــم : يا مولاى
خوف لا يسعفنى أن أفهم عنك
هل تأذن لى أن أذهب للمــاذرائى
استرشده فيما تفعل ؟

الحـــــلاج : بل تسأل قلبك !

ابراهيــــــم : بل ، تأذن لى ، ولك الفضل

الحـــــلاج : اذهب ، قل له
يرجوك الحــلاج
أن تحفظه فى قلبك
« يخــرج ابراهيــم »

الشـــــبلى : رجل طيب ..

ويحبــك

الحـــــلاج : يقصيه هــذا عنى
أحيانا يخطىء سبل الحب
ويحب الله بشخصى

الشـــــبلى : مــاذا تعنى •• ؟

الحـــــلاج : لو أحببنى فى الله
بدلا من حب آلهى فى
لم يفزع ، لم ينصحنى بالهجرة لخراسان

الشـــــبلى : هــذا حــق
لا أنصح بخراسان
قل لى يا حــلاج
هل ما اشتقت الى الحج ؟

الحـــــلاج : الحج •••
هل أوقد قلبى نارا الا الحج ؟
هل أنضج قلبى الا وقد الصحراء وســعى الرمضــاء
والصــوم الى أن أغفى الجسم الناحــل فى جذع النخلة

فى أرض مدينتـــه الخضراء
ولدت كلمات الله هناك بقلبى المثقل
فأتيت بها ، طوفت بأرض الناس
عن فتنة طلعتها أنضو أطراف ثيابى شيئا شيئا
سأخوض فى طرق الله
ربانيا حتى أفنى فيه
فيمد يديه ، يأخذنى من نفسى
هل تسألنى ماذا أنوى ؟
أنوى أن أنزل للناس
وأحدثهم عن رغبة ربى
الله قوى ، يا أبناء الله
كونــوا مثـــله
الله فعول يا أبناء الله
كونوا مثله ..
الله عزيز يا أبناء الله

الشـــــبلى : خفف من غلوائك يا شيخ
فلقد أحرمت بثوب الصوفى عن الناس

الحـــــلاج : تعنى هــذى الخرقــة
ان كانت قيدا فى أطراف

يلقينى فى بيتى جنب الجدران الصماء
حتى لا يسمع أحبابى كلمـاتى
فأنا أجفوها أخلعها .. يا شيخ
ان كانت شارة ذل ومهانه
رمزا يفضح أنـا جمعنا فقر الروح الى فقر المـال
فأنا أجفوها ، أخلعها ، يا شيخ
ان كانت سترا منسوجا من اليتنا
كى يحجبنا عن عين النـاس ، فنحجب عن عين الله
فأنا أجفوها ، أخلعها ، يا شيخ
يـارب اشـهد
هـذا ثوبـك
وشعار عبوديتنا لك
وأنـا أجفوه ، أخلعه فى مرضاتك
يـارب اشـهد
يـارب اشـهد
« يخـلع الخرقـة »
« سـتار »

المنظـر الثـالث

« نهارا . الساحة فى بغـداد . الواعظ والتاجر والفلاح يتسكعون »

الواعـــظ : وألزم كل صاحب بيت
بأن يلقى بدينار لبيت المـال
لكى يثبت حق الملك

الفـــلاح : وهل أثبت حق الملك للقصرين فى بغداد
وللبيت المشيد فى نواحى الكرخ ؟

الواعـــظ : سؤالك ساذج اذ دار فى ذهنك

التـــاجر : وجهرك بالسؤال يدل أنك ساذج صغير

الواعـــظ : ولو جاوبت أو علقت كنت الساذج الأكبر

التـــاجر : يقال بأن بعض وجوه أهل الفضل
سعوا فى القصر حتى يستتب العدل

الفـــــلاح : وهل هم أهل عدل فى ضياعهسو وثروتهم
مع الخدام والأتباع والأجراء والغلمان

الواعـــــظ : ســؤال ساذج ثان

التـــــاجر : اذن ، فالكون قد قام على العدوان
ولا جدوى ، فما فى الوسع الا الاحتيـال
عليـه
وأن ندعو رب العرش أن يصرفه عنا

« يميلون الى جهة من المسرح ويدخل ثلاثـة آخـرون أحـدب واعرج وابرص ، وهم من افراد المجموعـة الذين ظهـروا فى المشـهد الأول » .

الأحـــــدب : نعم ، انى أحب الشيخ
ولكن أســائل نفسى الحيرى
تــرى يســطيع أن ينصب ظهــرى بعــد
ما أحــدب ؟

الأعــــرج : أحس اذا سمعت حديثه الطيب
بأنى قادر أن أثنى الساق ، وأن أعدو ،
وأن ألعب

بلى ، فلقد أحس بأننى طير طليق فى
سماواته
ولكنى اذا فارقت محفله تبدت لى
ظلال الشك فى حالى
وعدت أجر ساق العجز ، يعرج خطوها
المتعب
على دقات ساق الفقر والاملاق

الأبرص : كأن الشمس حين أراه قد سمعت ضراعاتى
وقد صبغت مذلاتى
وصرت أجوس فى الطرقات مختالا ، نضير
الوجه وردى الذراعين
بلا سوء ولا وسم بسيمائى
ولكنى اذا فارقته لملمت ثوبى فوق أعضائى
ولذت بستر مسغبتى واعيائى وأدوائى

« يميلون الى جهة ثانية من جهات المسرح »

« يدخل ثلاثة من المتصوفين »

الأول : ولكن شيخنا قد خلع الخرقة

الثانى : وهبه خلع الخرقة ..

ترى هل خلع القلب الذى وسد فى الخرقه ؟
أو الله الذى يحيا بهذا القلب ؟

الثـــالث : ولكن تلك شارتنا ، ورتبتنا التى نزهى
بها ، ونحس أنــا حين تلناها
خلعنا الكون ، قصصنا جناحى توقنا النزاع
نذرنا نفسنا للحج ، أحرمنا للقيا النور
فان أسعفنا الحـال ، ونلنا ما تمنينا
فذلك حظنـــا الموفـور
طاب البحر والرحــلة والمرفــأ.
وكان البيرق المنشـــور
رايتنا ، لواء سفيننا .. الخرقه
وان عاندنا التيار ، واستعصى على النوتى
ادراك الطريق ، تملس النجم السماوى
وأخفى وجهه الفجر ، وأرخى ستره الديجور
وضل الركب والملاج بين الموج والأنواء
ومتنا ، وانطفت أعيننا الجوفـــاء
وحلم النور فوق زجاجها المكسور

فيكفى الننا متنا ، وكفنا برايتنا
كمثل مجاهد مستشهد مقهور

الثـــانى : وهل تمنعنا الخرقة أن نأبه للظلم
وأن نثبت للظـالم
وأن ندفع كيد الشر عن أحبابنا الضعفاء ؟
أما أبصرت بعض السالكين تنعموا بالثوب
وحين استشرفوا للزهد ، وانخلعوا عن اللذة
تشهوا لذة أخبث من كل اللذاذات
تشهوا لذة الانكار للآلام والبشر
وأن يمشوا خفاف الخطو مطويين فوق النفس
وحين تحدثوا استخفوا ورا الخرقه

الثـــالث : تقول الحق ، لكنى أخشى ان خلعناها
بأن نصبح كالناس ، نجادل فى أمورهم
ونركب متن دنياهم ، ونسترضى رءوسهم
وللغو فى سياستهم ، وندنو من سفيههم
وقد تبتل أيدينا بويل من شرورهم
وقد يفسد قربهمو الذى نلنا ببعدهم

الأول : هنا ، توقفنى الحيرة عن أن أقطع الأمرا !.
فماذا لو طرحنا همنا للشيخ حين يجىء
وهـذا وقت أوبته من المسجد

« ينتحـون جانبـا »

« صوت الحلاج من اقصى المسرح »

الحـــلاج : الى الىّ يا غرباء .. يا فقراء .. يا مرضى
كسيرى القلب والأعضاء ، قد أنزلت مائدتى
الى الى
لنطعم كسرة من خبز مولانا وسيدنا
الى الى ، أهديكم الى ربى
وما يرضى به ربى

« يتجمع الناس ويدخل ثلاثة آخرون ، يبدو عليهم التربص ، ملابسهم موحـدة ، ويبدو انهم من الشرطـة ، يعـرف ذلك من عيونهم وتهامسهم وقربهم من بعضهم البعض »

التـــاجر : من هـذا الشيخ الصـارخ

الفـــلاح : يهدينا ــ فيما يزعم ــ لله
شيخ مجذوب ، كم نلقى من أمثاله

في ســوق الشحاذين

التـــــاجر : هيـا نـذهب

فلقد خلفت ابنى فى دكانى

وهو ضعيف العقــل

ان جاءته جارية حسناء

أعطاها ما قيمته خمس قطع

بثــلاث أو أربــع

الفــــلاح : وأنـا قد بعت الحنطة فى السوق اليوم

وأريد العودة لعيالى فى ظاهر بغداد

بالمــال سليما قبل الليل

لو أبطــأت لقادتنى رجلاى

للخمارة حيث أذيب نقودى

فى كأس أو أدفنها فى تكة سروال

الواعــــظ : جازاك الله ، فما قلتــه

قد ألهمنى عظة الأسبوع القادم

ما أحلاها من موعظة مسبوكة

عن فلاح باع الحنطة فى السوق

أغـواه الشـيطان
فزنا بالمـال ، وعـاد ليلقى الصبية جوعى
فبكى •• و •• و ••
وسيلهمنى الله الباقى
وسأجعل عبرتها ونهايتها
احـذر كيد النسـوان

« يخرجـون »

« صوت الحلاج يرتفع ، وخطواته تتقدم ، والجمع يتحلق حوله »

أراد الله أن تجلى محاسنه ، وتستعلن أنواره
فأبدع من أثير القدرة العليا مثالا ، صاغه طينا
وألقى بين جنبيه ببعض الفيض من ذاته
وجلاه ، وزينه ، فكان صنيعه الانسان
فنحن له كمرآة ، يطالع فوق صفحتها
جمال الذات مجلوا ، ويشهد حسنه فينا
فان تصف قلوب الناس ، تأنس نظرة الرحمن
الى مرآتنا ، ويديم نظرته ، فتحيينا
وان تكدر قلوب الناس يصرف وجهه عنا

ويهجرنـــا ، ويجفونـــا ..
وماذا يفعل الانسان ان جافاه مولاه ؟
يضيق الكون فى عينيه ، يفقد ألفة الأشياء
تصير الشمس فى عينيه أذرعـــة من النيران
يلقى ثقلها المشاء

على وجه السما والأرض ألوانا من اللهب
ويضحى البدر دائرة مهشـــمة رماديـــه
من القصدير ميتة وملقاة على بيداء
فقد جفت عيون الناس ، أضحت نقطة سوداء
وتذوى أذرع الأشجار ، تلقى حملها للأرض
وتدفنه كمجهضة تكفن عارها فى الطين
ويمشى القحط فى الأســـواق ، يجبى جزية
الأنفـــاس

من الأطفـــال والمرضى
حقيبته بلا قـــاع ، فلا تملأ اذ تعطى
ورغبته بلا رى ، فلا تسكت أن تسأل
وخلف القحط يمشى تحت ظل البيرق المرسل
جنود القحط ، جيش الشر والنقمـــة

خلائقهم مشوهة ، كأن الذيل فوق الراس
يقود خطاهمو ابليس،وهو وزير ملك القحط
وليس القتل والتدجيل والسرق
ولبس خيانة الأصحاب والملق
وليس البطش والعدوان والخرق
سوى بعض زعايا القحط ، جند وزيره ابليس
تعالى الله ، قد يأنف أن ينظر فى مرآتنا ذاته
فيصرف وجهـه عنا
فكيف اذن نصفى قلبنا المعتم ؟
ليستقبل وجه الله ، يستجلى جمالاته
نصلى .. نقرأ القرآن
نقصد بيته ، ونصوم فى رمضان
نعم ، لكن هذى أول الخطوات نحو الله
خطى تصنعها الأبدان
وربى قصـده للقلب
ولا يرضى بغير الحب
تأمل ، ان عشقت ألست تبغى أن تـكون
شـبيه محبـوبك

فهـــذا حبنـــا لله
أليس الله نـــور الكون
فكن نـــورا كمثل الله
ليستجلى على مرآتنا حسنه

شـــــــرطى :
((**مقاطعـــا**))
ولكن شيخنا الطيب ، هل ربى له عينان
لكى ينظر فى المرآة ؟

الحـــــــلاج : ولكن ولدى الطيب ، هل قفل على قلبك
حتى ينطق القرآن
« أم على قلوب أقفالها » ؟

شرطى آخـــر : أجدت الرد ، كيف اذن تظن الله
بلا نعت ولا تشـــبيه ؟

الحـــــــلاج : أظن الله ، كيف ، ونوره المصباح
وظنى كوة المشـــكاه
وكونى بضعة منه تعود اليه

الشـــــــرطى : اتعنى أن هـــذا الهيكل المهـــدوم بعض منه
وأن الله جل جلاله متفرق فى الناس ؟

الحـــــلاج : بلى ، فالهيــكل المهــدوم بعض منــه ان طهــرت جوارحــه
وجل جلاله متفرق فى الخلق أنوارا بلا تفريق
ولا ينقص هذا الفيض أدنى اللمح من نوره

شرطى ثالث : فأنت اذن آله مثله ما دمت بعضا منه ؟

الحـــــلاج : رعاك الله يا ولدى ، لمــاذا تستثير شجاى
وتجعلنى أبوح بسر ما أعطى
ألا تعلم أن العشق سر بين محبوبين
هو النجوى التى ان اعلنت سقطت مروءتنا
لأنــا حينما جاد لنا المحبوب بالوصل لنعمنا
دخلنــا الستر ، أطعمنا وأشربنــا
وراقصنا وأرقصنا ، وغنينا وغنينا
وكوشفنا ، وكاشفنا ، وعوهدنا وعاهدنا
فلمــا أقبــل الصبح تفرقنــا
تعاهدنا ، بأن أكتم حتى أنطوى فى القبر

الشـــــرطى : كفى ، يا شيخ هذا القول عين الكفر ..

الحـــــلاج : عين الكفر .. ويلك .. هذا القول لى ، فاســمع

وان كنت سألقى الهول لو كشفت وجه السر

أجل لا ، بل ويلتى جرجرت من زهوى الى حتفى

ولكن .. كيف .. هل أترك هـذا اللفظ ملقى فوق أثوابى ؟

اذن ، فاسمع ، وقل فى الأمر ما ترضاه

لقد أحببت من أنصف

فأعطـانى كمـا أعطيت

الشـــرطى : يا أهل الاسلام .. هذا شيخ زنديق

شـرطى ثـان : فلنأخـذه للسـجن

شرطى ثالث : هيا .. يا كافر

أحد الصوفية : لا .. يا قـوم

هـذا سكر الصـوفيه

فاض القلب فعربد

غلب الوجد القصد

الشـــرطى : هـذا لغو أجـوف

فلنحم الدين من الكفرة

صـــــوفى : « للمجتمعين . »

يا قــوم

هذا الشرطى استدرجه كى يكشف عن حاله

لكن هل أخذوه من أجل جديث الحب ؟

لا ، بل من أجل حديث القحط

أخذوه من أجلكمو أنتم

من أجل الفقراء المرضى ، جزية جيش القحط

الأعـــــرج : هذا حق فالشرطة خدام السلطان

ما للشرطة والحب

فلنطلقه من أيديهم

« ضجــة وتلويح بالأيدى توشــك ان تصبح مقتــله »

الحــــلاج ، لا ، يا أصحــابى

لا تلقوا بالا لى

أستودعكم كلمــاتى

عودوا .. عودوا ..

ودعونى حتى تنفذ فى بدنى

لتؤدبنى

ألفاظ عتاب المحبوب النارية

الأبـــــرص : « لأحد الصوفية »
مـــاذا قـــال ؟

الصـــــوفى : مازال بحـــال الوجد ..
يتحدث من قلبه

الشـــــرطى : يا قـــوم
الشيخ أقر بجرمه
فدعوه يمضى ليؤدب
يا شـــيخ ..
هل أقررت بجرمك ؟

الحـــــلاج : هـــذا حق يا ولدى ..
فلقد أجرمت بحقـــه
اذ أفشـــيت السر

الشـــــرطى : أســـمعتم ! ..

الحـــــلاج : عاقبنى يا محبوبى انى بحت وخنت العهد
لا تغفر لى ، فلقد ضاق القلب عن الوجد
لكن عاقبنى كعقاب الخصم خصيمه
لا كعقاب المحبوب حبيبه

لا تهجرنى ، لا تصرف عنى وجهك
لا تقتل روحى بدلالك
اجعل بدلى الناحل أو جلدى المتغضن
أدوات عقـابك

« يتقدم الحـلاج امام الشرطة كأنه يقودهم ، والجمع يتبعه ، وحين يشارف نهاية المسرح يرتفع صوت احد الصوفية » .

الصـــوفى : هل نتركه للشرطة ؟

صـوفى آخـر : هـذا ما أوصانا به

« يخرج الصـوفية وهم يرددون ، هـذا ما اوصانا به »

الأبـــرص : مـاذا تفعـل ؟..

الأحــدب : ما رأيـك أنت ؟

الأعـــرج : هل تتبعهم لنرى ما يحدث ؟

« يخرجون وهم يرددون ، لنرى ما يحدث »

« يدخل الواعظ مسرعا من اقصى المسرح ، فيدرك الاعرج وهو يتبع زميله »

« للاعرج ، وهو يشد قميصه » يا هذا ..

ماذا كان هنا منذ هنيهه ؟

فلقد جلبتنى أصـــداء الضجه

الأعــــــرج : أخــذته الشرطة ..

الواعــــــظ : من ؟

الأعــــــرج : الرجــل الطيب

الواعــــــظ : ولمـــــاذا ؟ ..

الأعــــــرج : قد كان يحدثنا بحديث القلب

لم يستطع الكتمان ، فباح

دعنى أمضى

« يشد قميصه ، وينطلق »

الواعــــــظ : « وحده على المسرح » باح ..

بم باح ، لكى تأخذه الشرطة ؟

لا أدرى ، وعلى كل فالأيام غريبه

والعاقل من يتحرز فى كلماته

لا يعرض بالســـوء

لنظام أو شخص أو وضع أو قانون أو قاض

أو وال أو محتسب أو حاكم

(ســــتار)

الجـزء الثـانى

المـــوت

المنظر الاول

« سجن مظلم ينفتح بابه ليدخل منه الحلاج يدفعه حارس »

الحارس : أدخل يا أعدى أعداء الله

الحلاج : ليسامحك الله ، فقد أعطيت الحلاج المسكين أعلى من قدره

الحارس : أدخل ، لا تكثر فى القول

ولتجلس بين رفيقيك

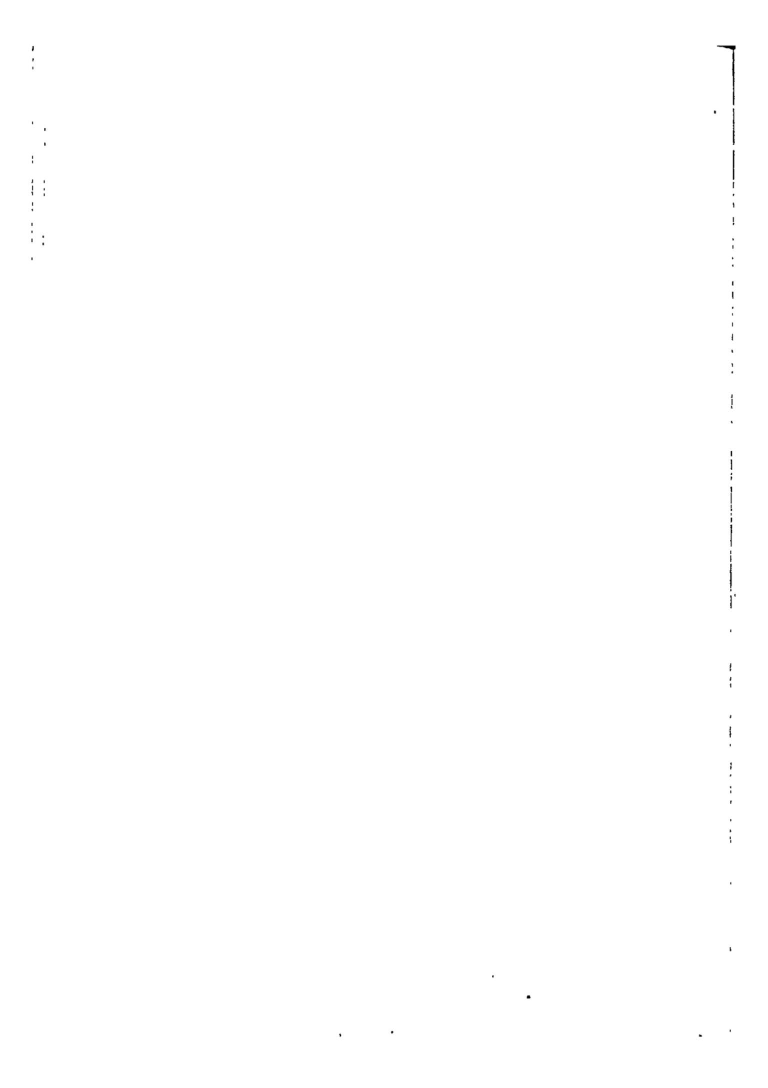
« يدخل الحلاج فلا يكاد يبصر شيئا فى الظلمة القاتمة »

الحلاج يا صاحب هذا البيت

هب ضيفك نورا حتى يكشف موضع قدميه

أو كحل بسنا ذاتك عينيه

يا صاحب هذا البيت



السجين الأول : « هامسا لرفيقه » هذا رجل مأفون
يتوهم أنــا جئنا فى مأدبة أو حفل

الحـــــلاج : نورا يا صاحب هذا البيت ..

السجين الثانى : أطلب من حارسنا الطيب مصباحا أو شمعة

السجين الأول : « لرفيقه هامسا » لا يدرى أنــا فى قــاع السـجن

السجين الثانى : لسنا فى قصر الوالى

السجين الأول : أو بيت القاضى

السجين الثانى : أو فى خمارة شط الكرخ

الحـــــلاج : يا صاحب هــذا البيت
قد أبطـأ عن عينى نورك
ان كنت ترى أن أستهدى بالظن
فقد خطواتى

السجين الأول : فليرجو حارسنا الطيب
أن يمسك كفيه بحنان
ويقود خطاه حتى يلقيه
فى ظل الحــائط

ودعـا بوزير القصر فأطعمه وأنامه
فتحلب ريق وزير القصر
واستصفى ماله

السجين الثانى : ورماه فى السجن

الحــــلاج : يا صاحب هــذا البيت
شكرا ، لم يبطىء نورك
عليكما الســلام ، سيدى

السجين الأول : وعليــك ..

« وهو يجلس فى ركن قريب يتمتم ، ثم يعلو صــوته »

.. وباسمك اللهم كانت هجرتى ، وسارت الأقـــدام
بارك لنا اللهم فى الدخول والمقام

السجين الثانى : « هامسا » عرفتـه
من ذقنه ، وتمتماته ، ولحيته
وذكره اسم الله فى مفتتح الكلام

السجين الأول : ومن يكون ؟ ..

السجين الثانى : قصاص مسجد الرصافة
ذاك الذى ــ فيما رووا ــ قد كان
يؤاخذ الجار بذنب الجار

السجين الأول : ماذا عنيت ؟

السجين الثانى : يطعن ان حركه الغرام
احبابه فى الظهر

السجين الأول : «ضاحكا» آه ، تعنى ابن بقين ..لا..لا..
بل انى أعرف من تعنيه
لا يشبه هــذا الشيخ

السجين الثانى : هل تعرفه معرفة طيبة حقا ؟
يا ويلى ، كيف ترى أغفو جنبك
فلتعلم أنى مهر لم يركب أو يركب
لا بأس بأن أركب
لكنى لا أركب
« يتحرك نحو صاحبه »

السجين الأول : صـــه
لا تهزر فى هذا أو أهشم رأسك

السجين الثانى : رأسى .. من أنت لتهشم رأسى

السجين الأول : لا تعرفنى حتى الآن
هه .. خذ كى تعرفنى

« يعاجله بضربة ، فيمسك الثانى بقدمه ويلويها »

السجين الأول : أطلق قدمى ستكسرها .. سأنادى الحارس

السجين الثانى : لا .. حتى تجعلنى أركب

السجين الأول : أطلق قدمى .. يا حارس .. هذا وحش مجنون

الحلاج : « يتقدم منه ويرجوه »
يا ولدى أرجوك
أطلق قدمه

السجين الثانى : من أجلك يا مولانا القا ..
قل لى .. قاض أنت ؟

الحلاج : قاض .. لا يا ولدى

السجين الثانى : أمعلم مسجد ؟

الحلاج : لا .. كيف أعلم
وأنا لا أعلم

السجين الأول : « وهو يقترب منه هامسا »
من أنت اذن ؟

الحـــلاج : اسمى الحلاج حسين بن المنصور

السجين الثانى : مــاذا تعمــل ؟

الحـــلاج : أتأمل يا ولدى

السجين الأول : شــاعر ؟

الحـــلاج : أحيــانا

السجين الأول : هل تقرأ فى كتب القدماء ؟

الحـــلاج : أحيانا

السجين الأول : هل تبحث فى أسرار الكون ؟

الحـــلاج : بل أشــهدها أحيانا

السجين الأول : مجذوب أنت ؟

الحـــلاج : دوما نحو النور

السجين الأول : هل أنت ولى ؟

الحـــلاج : لا بل مولى
ولیی ووليك يشهد

« يتبادل السجينان النظر ، ويهمان ثم يتوقفان ، وبعد برهة ينطلقان فى واحــد »

السجينـــان : ولمـاذا لا تسألنا من نحن ؟

الحـــلاج : أصحابى فى دار الهجره

السجين الأول : ما معنى هـذا ..

الحـــلاج : عشنا حينا فى دار الخوف

تتكتم بين الأضـلاع

سرا نخشى أن تسرقه الأسماع

لكن المسك انسكب بقلب الحلاج وذاع

فخرجت الى دار الهجره

السجين الأول : هـذا رجل طيب

يلقى لفظا لا أدرى معناه

لكنى أشـعر به

السجين الثانى : هذا رجل مسلوب العقل

السجين الأول : لا ، بل رجل طيب

ونى من أهل الله ، وان أنكر

السجين الثانى : اسكت يا أحمق

هذا رجل دجال مسلوب العقل

السجين الأول : لا ، بل أنت الدجال المسلوب العقل

السجين الثانى : أنت غبى أحمــق

السجين الأول : بل أنت عنيد كالبغل

السجين الثانى : بل أنت حمار ينقصه برذعة ولجام

عفوا ، هذى برذعتك

وذراعاى لجامك

هيا احملنى للقصر الأبيض

كى أمدح مولانا والى الشام

بمعلقة من قافية اللام

وأعود بمهر وفتاة وغلام

حا .. حا .. حا .. « يمتطيه فوق كتفيه »

السجين الأول : دعنى .. أو ألقيك الى الأرض

فأهشــم أضــلاعك

السجين الثانى : لن تقدر ، قد أحكمت لجامك

« يلف ذراعيه بعنف حول رقبته »

السجين الأول : دعنى يا مجنون

انك تخنقنى .. انى سأموت

السجين الثانى : فلينقص عندئذ عدد رعية مولانا جحشا

السجين الأول : أنقذني يا حارس

يا حارس •• يا حارس •• يا حارس

« يعمل القفل فى الباب ، ثم يدخل الحارس ، فيلزم كل منهما مكانه متضائلا »

الحارس : من صانع هذى الضجة ؟

« للسجين الأول »

أنت

السجين الأول : لا ، يا مولاى الوالى

لم أنبس بنت شفه

فأنا أخشى غضبك

وأنزه هذا السمع المرهف

عن صوت السفلة من أمثالى

« يربت الحارس عليه ، ثم يتجه للثانى »

الحارس : هو أنت ••

السجين الثانى : لا يا سيد

فأنا أعرف أحكام الحبس

« الحارس يضع يده على جبهته متأملا ، ثم ينظر للحلاج ويقول »

الحـــــارس : فهو الثالث لابد
هذا أمر •• بالعقل
أنت الصـــارخ

الحـــــلاج : لا يا ولدى
بل كنت أحدث نفسى فى صوت خافت .

الحـــــارس : خافت •• يا كذاب ؟

الحـــــلاج : لا أكذب يا ولدى قط

الحـــــارس : وتناقشنى أيضا يا كذاب ؟

الحـــــلاج : لا تشتمنى يا ولدى
فالسب خطيئة

الحـــــارس : كذاب •• وفقبه !
خـــذ

« يضربه بالسوط ، والحلاج هادىء مبتسم ، يلم ثوبه »

« يزداد الشرطى عنفا ، وتتلاحق ضرباته ، ثم يهتف بالحلاج ، وقد ضاق بهدوئه »

الحـــــارس : لم لا تصرخ ؟

الحـــــلاج : هل يصرخ يا ولدى جسد ميت ؟
الحـــــارس : اصرخ •• اجعلنى أسكت عن ضربك
الحـــــلاج : ستمل وتسكت يا ولدى
الحـــــارس : اصرخ •• لن أسكت حتى تصرخ
الحـــــلاج : عفوا يا ولدى ، صوتى لا يسعفنى .
الحـــــارس : قلت اصرخ •• أنت تعذبنى بهدوئك
الحـــــلاج : فليغفر لى الله عذابك
أيخفف عنك صراخى •• قل لى
ماذا تبغى أن أصرخ •• فأقول ؟
الحـــــارس : استحلفنى بالله ، بأولادى ، بتراب أبى .
أنظر لى نظرة خوف تتبع سوطى ، وهـــو يحلق ، ثم يرف ويتهاوى
اسأل لى الله بقاء ، أو سعة فى الرزق ، رقيـــا فى الجـــاه
اصنع شـــيئا يوقفنى ، أرجوك •• اجعلنى أتوقف
فأنا قد أنهكت
« وهو يلهث »

أنهكت .. أنهكت .. أنهكت
ربى .. ما هـذا الاعياء ؟
يا شـيخ
قل لى من أنت ..
أنت الشـيطان ؟
بل أنت ملاك .. جبريل
بل أنت ولى من أهل الله
من أنت ؟ ! ..
من أنت ؟ ! ..
« يتهاوى بجانبه ، ويبكى على كتفيه »
أيا كنت اغفر لى .. اغفر لى ..

الحـلاج : بل أشكره أن أنصف حالى فى الحب
اذ عاقبنى فى بدنى
« الحلاج ينهض ، ويبتعد قليلا عن الحارس »
يارب
لو لم أسجن ، أضرب ، وأعذب
كيف يقينى عندئذ أنك ترعى عهد الحب ؟
لكنى الآن تيقنت يقين القلب

أنك تنظر لى ، ترعانى ..
ما زالت تستعظمنى عينك
ما زلت ترانى أخلص عشاقك
عين الله على
وهداياه موصـــوله
وطرائف نعمته مبذوله
فهنيئـــا لى
فهنيئـــا لى

« الحارس ينسحب متثاقل الخطو من جوار الحـــائط ، حتى يقـــارب البـــاب ، ويلتفت للحلاج قائلا » :

الحـــــــارس : ان لم يأنف منى قلبك

الحــــــلاج : فاذكرنى فى صلواتك يا شيخ

« يخــــرج »

« يقترب السجينـــان من الحــــلاج ، يبـــدأ السجين الثانى الحديث »

السجين الثانى : سامحنا يا سيد ..
فالسجن يكشف أقبح ما فى الإنسان

السجين الأول : هل تلعننا فى صلواتك ؟

الحــــــلاج : بل أدعو ربى أن يفرج همكما

السجين الأول : يتردد فى شفتى الآن ســـؤال لا أدرى ما أفعل به

هل تأذن لى أن ألقيه يا سيد ؟

الحــــــلاج : لا تكتم عنى يا ولدى

السجين الأول : أخشى أن يؤذيك سماعه

الحــــــلاج : بل يؤذينى أن تكتم ما فى نفسك

السجين الأول : « بعد تردد »

لم أنت هنا ؟

الحــــــلاج : مقدور يا ولدى ..

السجين الأول : لا أعنى هـــذا .. ساعـدنى .. لفظى لا يسعفنى

أعنى .. لم جاءوا بك ؟

الحــــــلاج : ليتم المقدور ..

السجين الثانى : « مشيرا للأول »

هذا رجل لا يحسن أن يتكلم
يعنى .. ما التهمه ؟

الحـــــلاج : أنى أتطلع أن أحيى الموتى

السجين الثانى : « ساخرا »
أمسيح ثان أنت !

الحـــــلاج : لا ، لم أدرك شأو ابن العذراء
لم أعط تصرفه فى الأجساد
أو قدرته فى بعث الأشلاء
فقنعت باحياء الأرواح الموتى

السجين الثانى : « ساخرا »
ما أهون ما تقنع به !

الحـــــلاج : لم تفهم عنى يا ولدى
فلـــكى تحيى جســـدا ، حز رتبـــة عيسى
أو معجزتـــه
أما كى تحيى الروح ، فيـــكفى أن تمـــلك
كلماتـــه
نبئنى .. كـــم أحيـــا عيسى أرواحـــا قبل
المعجزة المشهودة ؟

آلاف الأرواح ، ولكن العميان الموتى
لم يقتنعوا ، فحباه الله بسر الخلق
هبة لا أطمع أن تتكرر

السجين الثانى : وبماذا تحيى الأرواح ؟

الحـــلاج : بالكلمـات

السجين الثانى : أتراك تقول ..

صلوا .. صوموا .. خلوا الدنيا ، واسعوا
فى أمر الآخرة الموعوده .
وأطيعوا الحكام وان سلبوا أعينكم يتنزى
منهـا الـدم
رصوها ياقوتا أحمر فى التيجان
بشراكم ، اذ ترثون الملكوت
عفوا ، هذا لفظ من ألفاظ شبيهك ..

الحـــلاج شكرا . تعطينى أعلى من قدرى
لكن فى قولك بعض الحق
فأنا أحيانا أصرخ فيهم : خلوا الدنيا الفاسدة
المهترئـة

ودعوا أحلامكم تنسج دنيا أخرى

السجين الثانى : دنيا أخرى من صنع الأحلام

الحلاج : الحلم جنين الواقع

أما التيجان ..

فأنا لا أعرف صاحب تاج الا الله

والناس سواسية عندى

من بينهم يختارون رءوسا ليسوسوا الأمر

فالوالى العادل

قبس من نور الله ينور بعضا من أرضه

أما الوالى الظالم

فستار يحجب نور الله عن الناس

كى يفرخ تحت عباءته الشر

هذا قولى .. يا ولدى

السجين الثانى : أقوال طيبة ، لكن لا تصنع شيئا

أقوال تحفر نفسى ، توقظ تذكارات شبابى

لأرانى فى مطلع أيامى الأولى

هل تدرى يا شيخى الطيب

انى يوما ما .. كنت أحب الكلمات

لما كنت صغيرا وبريئا

كانت لى أم طيبة ترعانى

وترى نور الكون بعينى

وترانى أحلى أترابى ، أذكى أخدانى

فلقد كنت أحب الحكمة

أقضى صبحى فى دور العلم

أو بين دكاكين الوراقين

وأعود لأفاجئها بالألفاظ البراقة كالفخار المدهون

الجوهر والذات

الماهية والاسطقسات

والقاتيغوريات

« يونانى لا يفهم »

أمى كانت تلتذ بأقوالى تتجرعها أذناها شهدا

يتبسم خداها ، عيناها ، مفرقها المتغضن

ويغرد فى شفتيها صوت لا أسمعه الا فى ذاك الحين

« الله يصـــونك لى »
« ويمد حياتى حتى أتملاك »
« أستاذا فى بيت الحكمة »
« أو قاضى شرع »
« أو والى ربع »
« أو شيخا صاحب نعمة »
كانت أمى خادمة تجمع كسرات الخبز وفضل
الثوب
من بعض بيوت التجــار
وأنـــا طفل لا همـــة لى
الا فى هـــذا اللغو المــأفون
مرضت أمى ، قعدت ، عجزت ، ماتت
هل ماتت جوعا ، لا ، هذا تبسيط ساذج
يلتذ به الشعراء الحمقى والوعاظ الأوغـــاد
حتى يخفوا بمبالغة ممقوته
وجه الصـــدق القاسى
أمى ما ماتت جوعا ، أمى عاشت جوعانه
ولذا مرضت صبحا ، عجزت ظهرا ، ماتت
قبل الليـــل

الحـــــلاج : فليرحمها الله

السجين الثانى : بل فليلعن من قتلوها ••

الحـــــلاج : قتلوهـــا ؟ ••

السجين الثانى : من أعطـــوا أمى ، ما يـــكفى أن يطعمهـــا أو يطعمنى

من جعلونى آكل لحم الأم لأحيا وأشب

قل لى •• هل تصلحهم كلماتك ؟

الحـــــلاج : هل يصلحهم غضبك ؟

السجين الثانى : غضبى لا يبغى أن يصلح بل أن يستأصل

الحـــــلاج : من تبغى أن تستأصل ؟

السجين الثانى : الأشرار ••

الحـــــلاج : بم تعرفهم ••

السجين الثانى : بتصرفهم

الحـــــلاج : يا ولدى

الشر دفين مطمور تحت الثوب

لا يعرفه الا من يبصر ما فى القلب

نحن هنـا بضعة مخلوقـات فى ركن من
أركان الدنيـا
أنت •• أنـا •• هـذا •• حارسنا ذو
السوط المتدلى من خاصرته
من فينا الشرير •• من فينا الخير ؟
من فينا يستأصله سيفك ، أو يعفيه ويستبقيه
وهب السيف بغير يمينك
بيمينى أو بيمين الحـارس
فمتى نرفعه أو نضعه ؟

السجين الأول : ولمـاذا لم تضعوا سيفا فى كفى ؟

الحـلاج : من عندئذ تقتل •• ؟

السجين الأول : نفسى •• يا سيد ؟

السجين الثانى : « للأول »
دعنا من هذا الهذر الأجوف
« للحـلاج »

السجين الثانى : اسمع لى يا شيخ
انك رجـل من أذكى من قـابلت فـؤادا
أثبتهم جارحة عند الشده

وتحب الناس ، لأنك من أجل الناس سجنت
وعـــذبت
لكن ، هل تقضى عمرك مقهورا فى ظل
الجدران المربده ؟
كالبومة تنعب فوق خرائب أيام السوء
حتى يأتى حجر طائش
ويهشـــم رأســـك
لم لا تهرب ؟

الحـــــلاج : لم أهرب ؟

السجين الثانى : كى تحمل سيفك من أجل الناس

الحـــــلاج : مثلى لا يحمل ســـيفا

السجين الثانى : هل تخشى حمل السيف ؟

الحـــــلاج : لا أخشى حمـــل الســـيف ولكنى أخشى
أن أمشى به
فالسيف اذا حملت مقبضـــه كف عميـــاء
أصبح موتـــا أعمى

السجين الثانى : ولمـــاذا لا تجعل من كلماتك نور طريقه ؟

الحـــــلاج : هب كلماتي غنت للسيف ، فوقع ضرباته
أصداء مقاطعها ، أو رجع فواصلها وقوافيها
ما بين الحرف الساكن والحرف الساكن
تهوى رأس كانت تتحرك
يتمزق قلب في روعة تشبيه
وذراع تقطع في موسيقى سجعه
ما أشقاني ، عندئذ ، ما أشقاني
كلمـــاتي قد قتلت

السجين الثاني : قتلت باسم المظلومين ..

الحـــــلاج : المظلومين ..
أين المظلومون ، وأين الظلمة ؟
أو لم يظلم أحد المظلومين
جارا أو زوجا أو طفلا أو جارية أو عبدا ؟
أو لم يظلم أحد منهم ربه ؟
من لي بالسيف المبصر !
من لي بالسيف المبصر ! ..

السجين الأول : هل تبكي يا سيد ؟.
لا تحزن ، قد ينفرج الحال

الحـــــلاج : لا أبكى حزنا يا ولدى ، بل حيره

من عجزى يقطر دمعى

من حيرة رأيى وضـــلال ظنونى

يأتى شجوى ، ينسكب أنينى

هل عاقبنى ربى فى روحى ويقينى ؟

اذ أخفى عنى نوره

أم عن عينى حجبته غيوم الألفاظ المشتبهه

والأفـــكار المشتبهه ؟

أم هو يدعونى أن أختار لنفسى ؟

هبنى اخترت لنفسى ، ماذا أختار ؟

هل أرفع صـــوتى ،

أم أرفع ســـيفى ؟

مـــاذا أختـــار ؟ ..

ماذا أختار ؟ ..

« يظلم المسرح تدريجيا ، حتى ينعدم ضـــوءه مما يوحى بمرور الأيـــام ، ثم ينير تدريجيـــا كذلك ، لنرى نفس المشـــــهد ، لكن لا نرى السجين الثانى ، القت الأيام على المشهد كله مزيدا من التعاسة ، حوائطه وأرضـــه وحتى هوائـــه » .

السجين الأول : أيـام تسقط فى أيـام
وشهور تهوى فى جوف شهور
منذ ألقينا فى هذى البئر الملعونة

الحـــــلاج : كم لك فى السجن ؟

السجين الأول : أيـام قبـلك ..

الحـــــلاج : فلنصبر ، يا ولدى

السجين الأول : لا أدرى لم يضنينى السجن الآن ؟
ألأنى أعلم أن السجان
أولى منى بمكانى
لم لم تتركنى حين دعانى ثالثنا
أن أصحبه فى هربه ؟

الحـــــلاج : لكنى لم أمنعك
بل لم أعرف

السجين الأول : لكنك كنت تحس
ولهذا كنت كثيرا ما تأنس بى
وتقربنى ، فى أول ساعات الليل
وتحدثنى وتحدثنى حتى قيدت خطاى

ولهذا قلت لنفسى ، حين دعانى أن أهرب :
« ماذا يجـدى روحى أن تخرج من سجن
ضـيق

كى تلزم سجنا أهون ضيقا •• ؟ »
لنفسى قـلت :
« ماذا قد أفعل فى كون قد أنكرنى
لم يصبح فى وسعى أن أجد مكانا فيه
الا أن أنكر روحى،أقتل هذا الشىء الغامض
النابت فى قلبى من كلماتك » ؟
ولنفسى قلت :
« ماذا يرجو انسان أكثر من أن يسعد ؟
وأنـا قد كنت سعيدا فى ظلك •• »
يا خيبة سـعيى
يا خيبة سـعيى
أحببتك حتى قيدنى حبك
فى هذا الفخ كأنى فأر مقعد
ليسامحك الله
بكلامك ضيعت حياتى ••

بكلامك ضيعت حياتى ••

الحـــــلاج : يارب

ألهمنى أن أختار

ألهمنى أن أختار

« فى هذه اللحظة ، يدخل كبير شرطة السجن، وبصحبته حارسان »

كبير الشرطـة : أيكما الحـلاج ؟

الحـــــلاج : أنـا يا سـيد

كبير الشرطـة : اليوم يحاكمك قضاة الدولة

فلتمض أمامى ••

الحـــــلاج : هذا أحلى ما أعطانى ربى ••

الله اختـار ••

الله اختـار ••

(ســـتار)

المنظـر الثـانى

((محكمة كبير القضاة ببغداد قضاتها الثلاثة أبو عمر الحمادى أنيق بدين ، وابن سليمان، قصير حفى فى حديثه هادىء الصوت ، وابن سريج ، نحيل حسن السمت ، ثم الحاجب))..

أبو عمر : بسم الله الهادى للحق
وعليه توكلنا
ندعوه أن يهدينا للعدل
ويوفقنا أن ننهض بأماناتنا
يا حاجب ..
لم لم يأتوا بالرجل المفسد حتى الآن ؟

الحاجب : الشرطة يأتون به من باب خراسان
وهم يلتمسون الطرق الخالية من العامة
حتى يتوقوا أهل الفتنة ..

أبـــو عمـــــر : الفتنـــة ! ..

ألأن عدوا لله وللسلطان يؤدب

يتجمع أوباش الناس على الطرقات ؟

حقا ! ما أصغر أحلام العامة

الحـــــاجب : رجل كان سجينا معه فى باب خراسان

قد جمعهم منذ صباح اليوم .

أبـــوعمـــــر : اهمال من والى الشرطة

لم لم يطلق فيهم أعوانه

الحـــــاجب : هذا ما يفعله الآن

أبـــو عمـــــر : كم يبلغ عد العامه ؟ ..

الحـــــاجب : مائة أو مائتان

أبـــو عمـــــر : لا .. لا .. لا خوف

لا قبل لهم بمواجهة الشرطه

انظر ، هل جاءوا بالرجل المفسد ؟

الحـــــاجب : سـمعا يا مولاى

« يخـرج »

ابـن سريـج : « فى صوت خفيض »
أأبـا عمر ، قل لى ، ناشدت ضميرك
أفلا يعنى وصفك للحـلاج ..
بالمفســد ، وعــدو الله
قبل النظر المتروى فى مسألته
أن قد صــدر الحكم ..
ولا جدوى عندئذ أن يعقد مجلسنا ؟

أبـو عمــر : هل تسخر يا ابن سريج ؟
هذا رجل دفع السلطان به فى أيدينا
موســوما بالعصــيان
وعلينا أن نتخير للمعصية جزاء عدلا
فاذا كانت تستوجب تعذيره ..

ابـن سـليمان : عــذرناه

أبـو عمــر : واذا كانت تستوجب تخليده
فى محبس باب خراسان

ابـن سـليمان : خـلدناه

أبـو عمــر : واذا كانت تستوجب أن يهلك

ابـن سـليمان : أهلكنـاه

أبـو عمـر : لا ، ليس بأيدينا ، اذ نحن قضاة ، لا جلادون
ما نصنعه أن نجدل مشنقة من أحكام الشرع
والسـياف يشـد الحبـل

ابـن سـليمان : هـذا تعبير رائـع
لكن لا يستغرب ان يصـدر عن سـيدنا الحمـادى

أبـو عمـر : عفوا ، عفوا ، يابن سليمان
اطراؤك يخجلنى ، ويذكرنى
أن الله يوفقنى
دوما للتعبير الرائـع
أحـكى لك قصـة ..
بالأمس لقيت صديقى القاضى الهروى
وهو كمـا تعـلم
رجل مغرور بقريحته وذكائه
فسـألته :
« ما أجدى ما يطعن من طعن عن الطعن »
فاحتار ، ولم يفهم

فأعدت القول ، لكى لا تبقى للقاضى حجه
« ما أجدى ما يطعن من طعن عن الطعن »
فتبلد وتحمحم
كحصان ابن زبيبة عنتر ..
« فازور من وقع القنا بلبانه
وشكى الى بعبرة وتحمحم »
انى أروى آلاف الآلاف من الأبيات
لولا حفظى ماء الوجه لقلت الشعر
وسبقت أبا تمام وابن الرومى فى صيد التبر
لكنى رجل لا يغرينى المـال ، كما تعلم
لنعد لحكايتنـا ..
لم يعرف قاضينا المغرور بعقله
معنى تعبيرى الرائـع
فحككت له أنفى ، ثم مضيت

ابـن سـليمان : يبقيك الله ، فقد كشفت غباءه
لكن ، قـل لى
فتح الله عليـك
ما معنى هـذا القول ؟

أبــو عمــــر : هل تدرك معناه يا ابن سريج ؟

ابــن سريــج : يا مولانــا

جئنا فى مجلس حكم لا فى مجلس ألغاز

وأنــا رجل محدود يقصر عقلى

عن أن يتســع لتعبيراتك

أبــو عمــــر : رذ لبق ، والله

لكن لا يعفيك من الرد

ابــن ســليمان : رد لا يعفيه من الرد

هــذا أيضا تعبير رائــع

ابــن سريــج : يا مولانــا

أنشــدك الله

حتى لا تزدحم القاعة بالتعبيرات الملتويه

فتضــل بها خطوات العدل

فسر لابن سليمان معنى تعبيرك

أبــو عمــــر : خذ يابن سليمان

الطعن الأولى معناها طعن الأضراس

تتك .. تتك .. تتك ..

أما طعن الثانية فمعناها أوغل فى العمر

اه .. اه .. اه

أما الطعن الثالثة فمعناها طعن الأفخاذ

شكشك ، شكشك ، شكشك

والآن اسمع وتأمل ..

ما أجدى الطعن لمن طعن عن الطعن

أى ..

ما أجدى الأكل لمن عجز عن ..

الحـــاجب : يا مولانا القاضى

قتلوا المسجون الهارب

لكن العامة مازالت تتجمع فى الطرقات

أبـو عمـــر : نقصـــوا أم زادوا ؟

الحـــاجب : نصفهمو قد فر أمام الشرطة

أبـو عمـــر : هـــذا ما كنت أظن

لا .. لا .. لا خوف

« ينسحب الحاجب ، ويلتفت لابن سليمان »

ما رأيك يا ابن سليمان فى هذا اللغز ؟

ابـن سـليمان : ما أمتع أسمارك يا مولانا
ليس غريبا أن يؤثرك الخلفاء أنيسا
ويقربك الوزراء جليسا
ويكون لك الرأى المسموع

أبـو عمـر : بل علمى يبهرهم يا ابن سليمان

صوت الحاجب : « من باب القاعة »
مولانا بكر بن الأوسى والى الشرطة
وبصحبته الحلاج حسين بن المنصور .

« يدخل والى الشرطة ، ومعه الحلاج ، ويحيى الوالى القضاة بالسلام فيردونه ، ثم ينصرف ويترك الحلاج ماثلا أمام القضاة »

أبـو عمـر : يا حلاج .. اتدرى لم جئت هنا ؟

الحـلاج : ليمم الله مشيئته يا سيد

أبـو عمـر : هـذا حـق ..
والله تبارك وتعالى .
قد ثبت فى كف خليفتنا الصالح ــ أبقاه الله ــ
ميزان العدل وسيفه

الحـــــلاج : لا يجتمعان بكف واحدة يا سيد

أبـــو عمـــــر : هذا ضرب من فتان القول

لا يدركه أمثالك من أهل الفتنة

ابـن سـليمان : حلو .. حلو ..

لم يفتنى قولك يا سيد

أبـــو عمـــــر : سيروعك قولى فيما بعد

فاسـمع وارتـع

مولانا لا يدفع عبدا من ولى فيهم للسيان

الا أن أحصى ما فرط من أمره

فى ميزان الانصـاف

مولانا يدرى من زمن أنك تبغى فى الأرض فسـادا

تلقى بذر الفتنـة

فى أفئدة العامـة

وعقول الدهمـاء

تستتر خلف الذقن الشهباء

أو أثواب المجذوبين الفقراء

والأقوال الغامضة المشتبهات القصد

اذ تسبكها وتقفيها كهذاء الشعراء

قل لى .. ماذا تبغى بهذائك ؟

هل تبغى أن يضع المسلم ..

فى عنق المسلم سيف الحقد ؟

الحـــلاج : لا .. يا سيد

بل أبغى لو مد المسلم للمسلم

كف الرحمة والود

أبـو عمـر : ولهذا تعرض للحكام

من أهل الرأى وأصحاب النعمة

ماذا تبغى ؟

أن يختل الناموس ويصبح أمر العامة

أعلى من أمر الخاصة

أن يحكم فينا الحمقى والجهلة

أن يعطى الأمر لمن ليس بأهل له

ابـن سليمان : فتقوم الساعة

أبـو عمـر : يا حـلاج

الجرم الثابت لا ينفيه أن تتباله وتتمتم

ابن سريج : يا مولانا ، هلا أعطيت الرجل المهلة أن يتكلم
فلقد حققت وأحكمت التهمة ، ثم أدنت

أبو عمر : ما حاجتنا أن نسمع فى هذا المجلس
فيضا من لغو القول المبهم ؟
فليعل حديث العدل اذا خرس الجرم
قال الله تعالى :
« انما جزاء الذين يفسدون فى الأرض »

ابن سليمان : أأبا عمر .. حقا ما قلت
لكنى أرجو أن نبعث برسول للقصر
نستفتيه فى أمر الحكم

أبو عمر : هل تخشى أن تحمل دم هذا المفسد ؟

ابن سليمان : لا أخشى أن يلزم دمه عنقى باسم الشرع
لكنى لا أرضى أن يلزمنى باسم السلطة
فأنا لم أشهده يبغى افسادا فى الأرض

أبو عمر : الشرطة قد شهدته

ابن سليمان : لكنى لم أتحقق من قول الشرطة ..

أبــو عمـــر : يا ابن سليمان

لسنا أهــل لتحقيق

بل أهل الفتوى ، أعلم هذا الجيل باحكام الشرع

فالشرطة والوالى والسلطان يسوســون ..
أمور الأمــة

ويميزون الجـــانى ، ويقيســون الجــرم
بامعــان وتثبت

فاذا صح الجــرم لديهم ، وقفوا الجــانى
بين يدينــا

لنرى فيه الرأى الشرعى الصائب

ابــن ســليمان : يا مولانــا

رأيى من رأيــك ..

لكنــك قــد وضحتــه

ببيان مثلى لا يدرك حسنه

فلتسمح لى أن أعرض رأيى

بعباراتى الجرداء من الفطنــه

انى قــد أســآل نفسى الآن

من نحن ، وما علة هــذا الجمع ؟
نحن رجال العلم ، وأهــل الشرع
والوالى يستفتينــا فى أمر
وعلينــا اتقــان الفتوى
أنــا لا يعنيفى ما اسم المتهم الماثل بين يدينا
والحلاج لدينا حال ، لا شخص ماثل
وكأن الوالى يســألنا
ما حــكم الشرع العــادل
فى من يبغى فى الأرض فسادا ، يبذر فيها بذر الفتنــة

وهنا تتملى فىالأحكام ، وننشرها ، تتخير منها،
ونقــول :
للوالى ، لا للحــلاج
هــذا حــكم الشرع
فى من يبغى فى الأرض فسادا ، يبذر فيها بذر الفتنــة

أن تقطع أرجله ، أيديه ، ويصلب فى جــذع الشــجرة

ويفض المجلس
هل فتوانا ملزمة للوالى ؟
لا .. فله أن ينفذهـا
أو أن يسترجع أمره
وهنا لا نحمل وزر دم مسفوك فى ظلم
أو عدل أو عدل

ابن سريج : لا ، لا ، يابن سليمان
ما تنسجه من محبوك القول
أحبولة شيطان
ان الكلمات اذا رفعت سيفا ، فهى السيف
والقاضى لا يفتى ، بل ينصب ميزان العدل
لا يحكم فى أشباح ، بل فى أرواح أغلاها الله
الا أن تزهق فى حق ، أو فى انصاف
الوالى والقاضى رمزان جليلان
للقدرة والحق
لا تدنو من مرماها أفراس القدره
لا تبلغ غايتها
الا أن أمسك فرسان الحق

بزمــام أعنتها
فاذا شئتم أن ينقلب الحــال
ان تلقوا فرســان الحــق
صرعى تحت حوافر أفراس القدره
فأنــا أستعفى من مجلســكم

أبــو عمــــر : يا ابن سريج
هــذا مجلس حكم مخصــوص
وله تقــدير مخصــوص
ينظر فى أمر مخصــوص
وكمــا قــال القــائل

ابــن سريــج : « مقاطعــا »
مخصوص .. مخصوص .. مخصوص
هل خصوا هــذا المجلس بالظــلم
قل لي فى لفظ واضــح
هل نحن قضــاة باسم الله
أم باســم الســلطان ؟

أبــو عمــــر : بل قــل أنت

أو تنكر أن السلطان خليفة رب الأكوان
على الأكوان ؟

ابن سريج : هذا السلطان العادل ...

أبو عمر : أو تبغى أن تدفع عن مولانا صفة العدل ؟

ابن سريج : بل أرجو أن أثبتها له

ليس العدل تراثا يتلقاه الأحياء عن الموتى
أو شارة حكم تلحق باسم السلطان اذا
ولى الأمر
كعمامته أو سيفه
مات الملك العادل
عاش الملك العادل
العدل مواقف
العدل سؤال أبدى يطرح كل هنيهه
فاذا ألهمت الرد ، تشكل فى كلمات أخرى
وتولد عنه سؤال آخر ، يبغى ردا
العدل حوار لا يتوقف
بين السلطان وسلطانه

أبــو عمـــــر : العدل .. العدل

ماذا تبغى حتى يجرى العدل

ابــن سريـــج : أن نسمع صوت المتهم المـاثل بين يدينا

ونسائل أنفسنا وضمائرنا

أبــو عمـــــر : هـــه ...

هو لا يبغى أن يتكلم

وعلى كل ، مازالت جلستنا ممدوده

فليسمعنا شــيئا من لغوه

يا هــذا الشيخ المنفوش اللحيه

بم تدفع عن نفسك ..؟

الحـــــلاج : لستم بقضـاتى ،

ولذا لن أدفع عن نفسى

ابــن سريـــج : « للحـلاج »

يا حـــلاج ...

لا تدفع عن نفســك

بل حـــدثنا عما فيهـا

ان كان هو الحق ، عرفناه معك

واذا كان الباطـل
نبهنـاك اليه
وأخذنـاك بجرمـه ...

الحـلاج : أوعدتم ان كان الحق ...
أن تمضـوا فيه معى ؟

أبـو عمـر : نمضى فيه معك .. ؟
اما أنك رجل ساذج
أو أنك أذكى مما تتصور
ولهذا أفسدت صعاليك العامه
وعلى كل ، لا ضـير
قد نصبح من أتباعك « ساخرا »
من أنت ، وما خطبك ... ؟

الحـلاج : أنـا رجل من غمار الموالى ، فقير الأرومة والمنبت
فلا حسبى ينتمى للسـماء ، ولا رفعتنى لها ثـروتى
ولدت كآلاف من يولدون ، بآلاف أيام هذا الوجـود

لأن فقيرا ــ بذات مســاء ــ ســعى نحو
حضن فقيرة
وأطفأ فيه مرارة أيامه القاســية
نموت كآلاف من يكبرون ، حين يقــاتون
خبز الشموس
ويسقون مــاء المطر
وتلقاهم صبية يافعين حزانى على الطرقات
الحزينــه
فتعجب كيف نموا واســتطالوا ، وشــبت
خطاهم ...
وهــذى الحيــاة ضنينه
تسكعت فى طرقات الحياة ، دخلت سراديبها
الموحشــات
حجبت بكفى لهيب الظهيرة فى الفلوات
وأشعلت عينى ، دليلى ، أنيسى فى الظلمات
وذوبت عقلى ، وزيت المصــابيح ، شمس
النهار على صفحات الكتب
لهثت وراء العــلوم ســنين ، ككلب يشم
روائح صــيد

فيتبعها ، ثم يحتـال حتى ينال سبيلا اليها ،
فيركض ،
ينقض
فلم يسعد العلم قلبى ، بل زادنى حيرة راجفة
بكيت لها وارتجفت
وأحسست أنى ضئيل كقطرة طل
كحبـة رمـل
ومنكسر تعس ، خائف مرتعد
فعلمى ما قادنى قط للمعرفـة
وهبنى عرفت تضاريس هذا الوجود ...
مدائنـه وقـراه
ووديانـه وذراه
وتاريخ أملاكه الأقـدمين
وآثـار أملاكه المحـدثين
فكيف بعرفان سر الوجـود ، ومقصـدى
مبتدا أمره ، منتهاه
لكي يرفع الخوف عني ، خـوف المنون ،
وخوف الحياة ، وخوف القدر

لكى أطمئن

سألت الشيوخ ، فقيل

تقرب الى الله ، صل ليرفع عنك الضلال ..

صل لتسعد

وكنت نسيت الصلاة ، فصليت لله رب المنون

ورب الحياة ورب القدر

وكان هواء المخـافة يصفر فى أعظمى ويئز

كريح الفلا ... وأنـا ساجد راكع أتعبد

فأدركت أنى أعبد خوفى ، لا الله ...

كنت به مشركا لا موحـدا

وكان الهى خوفى

وصليت أطمع فى جنته

ليختال فى مقلتى خيال القصور ذوات القباب

وأسمع وسوسة الحلى ، همس حرير الثياب

أنى أبيع صلاتى الى الله

فلو أتقنت صنعة الصلوات لزاد الثمن

وكنت به مشركا ، لا موحدا

وكان الهى الطمـــع
وحير قلبى ســـؤال :
ترى قدر الشرك للكائنات
والا ، فكيف أصلى له وحده
وأخـــلى فؤادى مما عـــداه
لكى أنزع الخوف عن خاطرى
لكى أطمئن ...
((ســـكتة))
كما يلتقى الشوق شوق الصحارى العطاش
بشوق السحاب السخى
كذلك كان لقـــائى بشيخى
أبى العاص عمرو بن أحمد ، قدس تربته ربه
وجمعنا الحب ، كنت أحب السؤال ، وكان
يحب النوال
ويعطى ، فيبتل صخر الفؤاد
ويعطى ، فتندى العروق ويلمع فيها اليقين
ويعطى ، فيخضر غصنى
ويعطى ، فيزهر نطقى وظنى

ويخلع عنى ثيابى ، ويلبسنى خرقة العارفين
يقول هو الحب ، سر النجاة ، تعشق تفز
وتفنى بذات حبيبك ، تصبح أنت المصلى ،
وأنت الصـلاه
وأنت الديانة والرب والمسجد
تعشقت حتى عشقت ، تخيلت حتى رأيت
رأيت حبيبى ، وأتحفنى بكمـال الجمال ،
جمـال الكمـال
فأتحفته بكمـال المحبـه
وأفنيت نفسى فيه

أبـو عمـر : صمتا : هـذا كفر بين !

ابـن سريـج : بل هذا حال من أحوال الصوفيه
لا يدخل فى تقدير محاكمنـا
أمر بين العبد وربـه
لا يقضى فيه الا الله
لنسائله عن تهمة تحريض العامة
فلهذا أوقفه السـلطان هنا .
هل أفسدت العامة ، يا حلاج ؟

الحـــــلاج : لا نفسد أمر العامة الا السلطان الفاسد
يستعبدهم ويجوعهم

ابـن سـليمان : يعنى هل كنت تحض على عصيان الحكام

الحـــــلاج : بل كنت أحض على طاعة رب الحكام
برأ الله الدنيا احكاما ونظاما
فلماذا اضطربت ، واختل الاحكام ؟
خلق الانسان على صورته فى أحسن تقويم
فلماذا رد الى درك الأنعــام ؟

أبـو عمــر : ماذا يعنى هــذا الشيخ ؟
هل هذا أيضا من أحوال الصوفية ؟
أم يستخفى خلف الألفاظ المشتبهه
كى يخفى وجه جريمته الشنعاء ؟
انى أسألك سـؤالا محدودا
لتجيب جوابـا محـدودا
هل تزعم أنك صـوفى .. ؟

الحـــــلاج : الله يصنفنى حيث يشاء

أبـو عمــر : هل تزعم أنك فارقت الدنيا وشواغلها ؟

الحـــــلاج : ها أنـا ذا فى الدنيا يا سـيد
أشغل نفسى بالرد على أسئلتك

أبـــو عمـــــر : هل أرسلت رســائل لأبى بكر المـاذرائى وســـواه
تدعـوهم فيهـا أن ينتقضـوا ، ويهبـوا ضـد الدولة ؟

الحـــــلاج : الدولة .. !
لا أشغل نفسى بالدوله
بل أشغلها بقلوب أحبـائى

أبـــو عمـــــر : تنـكر .. ؟
يا حاجب ...
قل للشرطة يأتوا بالمـاذرائى

الحـــــاجب : هرب المـاذرائى من بغداد يا مولاى
وكذلك حمد الطولونى والقنائى

أبـــو عمـــــر : منذ متى .. ؟

الحـــــاجب : من يومين .. ؟
مذ أنبأهم جاسوس بالقصر

عن قرب محاكمة الحلاج

أبـو عمــر : كيف عرفت .. ؟

الحــاجب : أنبتنى الشرطة يا مولاى

أبـو عمــر : « للحــلاج »

أحسبك الآن ستمضى فى انكارك

لكنى من نطقك سأدينك

هل أرســلت رســائل ؟

الحــلاج : قطع من قلبى أهديها لقلوب أحبائى

أبـو عمــر : مــاذا فيهــا ؟

الحــلاج : تذكير لهم أن الانسان شقى فى مملكة الله

لم يبرأنا البارى ليعذبنا ، ويصغرنا فى عينيه

بل ليرانا ننمو ، وتلامس جبهتنا وجه الشمس

أو نمرح تحت عباءتها كالحملان المرحه

أبـو عمــر : لم أرسلت اليهم برسائلك المسمومه ؟

الحــلاج : هــذا ما جال بفكرى

عاينتُ الفقر يعربد فى الطرقات

ويهــدم روح الانســان

فسـألت النفس :
مـاذا أصـنع ؟
هل أدعو جمع الفقراء
أن يلقوا سيف النقمـه
فى أفئدة الظلمـه ؟
ما أتعس أن نلقى بعض الشر ببعض الشر
ونداوى اثمـا بجريمـه
مـاذا أصـنع ... ؟
أدعـو الظلمـة
أن يضعوا الظلم عن الناس
لكن هـل تفتح كلمـه
قلبا مقفولا برتاج ذهبى ؟
مـاذا أصـنع ؟
لا أملك الا أن أتحدث
ولتنقل كلماتى الريح السواحه
ولأثبتها فى الأوراق شهادة انسان من أهل الرؤيـه
فلعل فؤادا ظمآنا من أفئدة وجوه الأمه

يستعذب هـذى الكلمـات
فيخوض بها فى الطرقـات
يوعاها ان ولى الأمر
ويوفق بين القدرة والفكره
ويزاوج بين الحكمة والفعل ..

أبـو عمــــر : هل تبغى أن يرتفع الفقر عن الناس ؟

الحــــلاج : ما الفقر ؟

ليس الفقر هو الجوع الى المـأكل والعرى الى الكسوه
الفقر هو القهر
الفقر هو استخدام الفقر لاذلال الروح
الفقر هو استخدام الفقر لقتل الحب وزرع البغضــاء
الفقر يقول ـ لأهل الثروه ـ
اكره جمـع الفقراء
فهمو يتمنون زوال النعمة عنك
ويقول لأهـل الفقر
ان جعت فكل لحم أخيك

الله يقول لنا :
كونوا أحبابا محبوبين
والفقر يقول لنا :
كونوا بغضـاء بغاضين
اكره .. اكره .. اكره
هـذا قول الفقر

أبـو عمـر : هذا أمر لا يسكت عنه
هـذا الشيخ يقول :
الانسان شقى فى مملكة الله
معنى هذا أن الأمة تشقى فى ظل خلافة مولانا
ويقول :
ان الفقر يعربد فى الطرقات
معنى هذا أن الأمة لا تجد الأقوات
ولتسأل عندئذ من سلب الأقوات !
ويقول :
لكن الكلمة لا تفتح قلبا مقفولا برتاج ذهبى
يعنى الأمراء وأهل الجـاه
وتؤدى هـذى الألفاظ المشتبهه

بالفقراء الى نبذ الطـاعه ..
ولزوم الفتنـه
ولهذا أحكم مرتاحا باداتته وعقابه
ما رأيك يا ابن سليمان ؟

« قبل أن يجيب ابن سليمان ، يدخل الحاجب على عجل »

الحـــاجب : مبعوث من عند وزير القصر
يستأذن أن يدخـل

أبـو عمـر : من عند وزير القصر
فليدخـل ....

المبعـوث : مولاى وزير القصر
يهـديكم تقـديره
ويوجه هـذا المكتوب اليك

« يعطى أبا عمر الخطاب ، فينشره ، وينظر فيه »

أبـو عمـر : « وهو ينظر فى الخطاب »
مولاى وزير القصر

لطفـا منه وكرامـه
ينبينا فى مكتوبه
« يقـرأ »
أن الدولة قد سامحت الحلاج
فيما نسب اليه ، وتثبت منه السلطان
من تحريض العامة والغوغاء على الافساد
وعفت عنه عفوا كليا لا رجعة فيه

ابـن سـليمان : هذا حقا ، لطف من مولانا وكرامه

أبـو عمـر : « مستأنفا فى الخطاب »
لكن وزير القصر يضيف :
« هبنا أغفلنا حق السلطان .. »
ما نصنع فى حق الله ؟
فلقد أنبئنا أن الحلاج
يروى أن الله يحل به ، أو ما شاء له الشيطان
من أوهـام وضـلالات
ولهذا أرجو لو يسأل فى دعواه الزندقية
فالوالى قد يعفو عمن يجرم فى حقه
لكن لا يعفو عمن يجرم فى حق الله »

ابـن سـليمان : هـذا أيضا حق !

ابـن سريـج : بل هـذا مكر خادع

فلقد أحكمتم حبل الموت

لكن خفتم أن تحيا ذكراه

فأردتم أن تمحوهـا

بل خفتم سخط العامة ممن أسمع أصواتهم
من هـذا المجلس

فأردتم أن تعطوه لهم مسفوك الدم

مسفوك السمعة والاسم

يا حـلاج ...

هل تؤمن بالله ؟

الحـلاج : هو خالقنا واليه نعود

ابـن سريـج : هذا يكفى كى يثبت ايمانه

أبـو عمـر : يا ابن سريج

انى لا أبحث فى ايمانه

بل فى كيفية ايمانه

ابـن سريـج : كيفية ايمانه .. ؟

هل تبغى أن تنبش فى قلبه
هل هــذا من حق الوالى
أم من حــق الله ؟.

أبــو عمــــر : هذا من حق قضاة الشرع

ابــن سريــج : لا ، بل هــذا من حق الله
فأنا لا أجرؤ أن أسأل رجلا عن ايمانه
فاذا شئتم أن تمضوا فى هذا الاثم ...

أبــو عمــــر : سنمضى يا ابن سريج

ابــن سريــج : فأنا أستعفى من مجلسكم

أبــو عمــــر : هــذا لك يا ابن سريج

« يغادر ابن سريج مجلسه ، ويخرج مسرعا من القاعة ، وهو يقول »
بل هــذا من حق الله
بل هــذا من حق الله

أبــو عمــــر : مازالت جلستنا معقوده
« يعود الى الخطــاب »
هذى حاشية فى مكتوب وزير القصر ...
تقول ...

« أرجو أهل العدل ، قضاة الحق
أن يستفتوا فى أمر الحلاج شهود
والشرطة قد جمعتهم فى باب القاعة
كى تكفيكم هـذا الأمر »
يا حـاجب
من بالبـاب

الحـاجب : الشبلى الصوفى وبعض العامة

أبـو عمـر : أدخلهم

« يخرج الحاجب ، ويدخل الشبلى ، تتبعه جماعة الفقراء شهدناهم فى المنظر الأول »

« يتقدم الشبلى »

أبـو عمـر : أقدم يا شبلى

« الشبلى يتقدم أمام المحكمة »

أبـو عمـر : هل تعرف هذا الشيخ ؟

« الشبلى يشير براسه موافقا »
ماذا تعرف عنه ؟

الشـبلى : مولاى ... أقلنى ، واصرفنى

فلقد جذبونى من بين أحبائى

وأتوا بى مخفورا مقهورا

أبــو عمـــــر : ان كنث تحب العدل

فاشهد بين يدينا بجلية أمر الحلاج

الشـــــبلى : بجلية أمره ٠٠ ؟

هذا سلطان لا يملكه الا الله

أبــو عمـــــر : أو ليس صديقا لك ؟

الشـــــبلى : واماما من أعلى أهل طريقتنا قدرا

أبــو عمـــــر : هــل تزعم مثــله

أن الله تجــلى لك ٠٠

أو حل حلولا فى جسدك ؟

الشـــــبلى : كل منا يتحدث عن حاله

أو يصمت حين يشاهد

الحــلاج يرى ٠٠٠

فيجن من الفرحة ، حتى يهذى ويعربد

وأنــا أتلذذ فى صمتى

أبــو عمـــــر : بك أيضا ، قد حل الله ؟

الشـــــبلى : يا مـــولاى

ان أحببت وأخلصت العهد

هل تبقى ذاتك ذاتك

أم تفنى فى محبوبك

وبهذا يشعر أهـــل الوجد

فنيت نفس فى خالقهـــا

فنيت ذات فى ذات

لم يصبح فى دنياك سوى ذاته

حتى أنت

قـــد أصبحتـــه

أبـــو عمـــــر : كفر .. كفر

هل هذا قولك أم قول الحلاج ؟

الشـــــبلى : يا مـــولاى

أرجوك ... اصرفنى ... انك تلقى بى فى النـــار

فلقد عاهـــدت الله

ألا افشى نعمـــاءه

ألا أكشف وجه الأسرار

ألا أتحدث عن حالى قط
دعنى أرعى عهدى ، واصرفنى

أبــو عمــــر : قول الحلاج اذن ...

الشـــــبلى : « متوســلا »
هل أخرج يا ســيد ؟

أبــو عمــــر : اخــرج
« يخرج الشــبلى مرتاعا »
« يلتفت ابو عمر الى جمع الفقراء »
ما رأيكمو يا أهل الاسلام
فيمن يتحدث أن الله تجلى له
أم أن الله يحل بجسده ؟

المجمــــوعة : كافر .. كافر

أبــو عمــــر : بم تجزونــه ؟

المجمــــوعة : يقتل ، يقتل

أبــو عمــــر : دمه فى رقبتكم .. ؟

المجمــــوعة : دمه فى رقبتنا

أبــو عمــــر : والآن .. امضوا ، وامشوا فى الأسواق

طوفوا بالساحات وبالخانات
وقفوا فى منعطفات الطرقات
لتقولوا ما شهدت أعينكم
قد كان حديث الحــلاج عن الفقر قنــاعا
يخفى كفره
لكن « الشبلى » صاحبه قد كشف سره
فغضبتم لله ، وأنفذتم أمره
وحملتم دمه فى الأعنــاق
وأمرتم أن يقتل
ويصلب فى جذع الشجره
الدولة لم تحــكم
بل نحن قضاة الدولة لم نحكم
أنتم ...
حكمتم ، فحكمتم
فامضــوا ، قولوا للعامة
« العامــة قد حاكمت الحــلاج امضــوا ..
امضوا .. امضوا ..
« يخرجون فى خطى متباطئة ذليلة »
(ســــتار)

تذييـــل

(أ) ولد الحسين بن منصور الحلاج حوالى منتصف القرن الثالث الهجرى ، وكان ابوه يشتغل بصناعة الحلج وعمل هو بهـا زمنا . ومن هنا اتاه اللقب .

وتلقى خرقه الصـوفية فى شبابه عن المتصـوف المعروف عمرو المكى . وذلك بعد لقاء قصير بسهل التسترى ، احد كبار المتصوفين . والخرقة رمز الانخلاع عن الدنيـا والفناء فى الجماعة الصـوفية . ثم تزوج بعد ذلك بامراة بصريـة . اولدهـا أولادا وعاش معها حياته كلها .

واتصل بعد ذلك بالجنيد شيخ صوفية عصره . ثم صار له مريدون عبر عنهم فى قصـائده بقوله « أصحابى وخلائى » . وقد أختلف مع صوفية عصره حين اخذ يتصل بالناس ويتحدث اليهم . فنبذ خرقة الصـوفية .

وطاف بعد ذلك ببلاد الهند . ثم عـاد الى بغداد ليعظ ويتحدث عن مواجده . يبث الآراء الاصـلاحية . ويتصل ببعض وجوه الدولة . ويجمع حوله مجموعة من الفقراء . وظلت حياتـه بين سجن ومحاكمات لا تتم . واتهـام وتكريم حتى كانت محاكمته الأخيرة فى عام ٣٠٩ هـ . امام القاضى المـالكى أبن عمر الحمادى . ومعه قاضيان احدهمـا شافعى والآخر حنفى كمـا جرت بذلك العـادة .

وقد ترك لنا الحلاج مجموعة من الأشعار تتحدث عن مواجده الصوفية . ومجموعة من الأشعار النثرية فى كتابه الممتع العظيم « الطواسين » .

وقد كان لمقال ماسينيون « المنحنى الشخصى فى حياة الحلاج » . ولكتاب « اخبار الحلاج » الذى حققه ماسينيون وعلق عليه مع بول كراوس أكبر الأثر فى لفتى الى سيرة هذا المجاهد الروحى العظيم . وفى مقال ماسينيون اشارة الى الدور الاجتماعى للحلاج فى محاولته اصلاح واقع عصره . وماسينيون ينسب الحلاج الى الحنابلة . ويجعل الشيعة ــ ومنهم كان الوزراء وكبار الحكام ــ عدا الخليفة ــ هم الساعون فى دمه . وذلك بعد تحقيق تاريخى مسهب .

والاشارة لدوره الاجتماعى نجدها فى المراجع العربية القديمة . فالاصطخرى يقول انه استمال جماعة من الوزراء وطبقات من حاشية السلطان وأمراء الأمصار وملوك العراق والجزيرة ومن والاها .. استمالهم لماذا ؟ لا يحدثنا الاصطخرى .

ولكن اضواء اخرى تلقى على طبيعة هذه الاستمالة مثل تأكيد الجويرى فى كتابه كشف المحجوب إنه رأى بالعراق بعد ما يزيد قليلا عن مائة سنة من موت الحلاج طائفة تسمى نفسها الحلاجية . وهذا او قريب منه ما يحدثنا به ابو العلاء المعرى فى « الغفران » من أن هناك قوما فى بغداد ينتظرون خروج الحلاج . ويقفون بحيث صلب على دجلة يتوقعون عودته . وقد مات المعرى بعد صلب الحلاج بمائة وأربعين عاما .

فمما لاشك فيه اذن أن الحلاج كان مشغولا بقضايا مجتمعه .

وقد رجحت أن الدولة لم تقف ضده هـذه الوقفة الا عقابا على هذا الفكر الاجتماعي .

اما مسألة حنبليته . ووقوف الشيعة ضده . فتلك مشكلة . فرغم تأكيد ماسينيون فان دارسين آخرين مثل جولد تسيهر ودى بور وآدم ميتزلا يشيرون اليها . كما ان بعض المراجع العربية القديمـة تغفلها . بل ان بعضـها يشـير الى شيعته مثل قـول الاصطخرى نقلا عن ابن حوقل ان الحلاج كان فى اول امره داعيا من دعـاة الفاطميين . وقول ابن النديم فى الفهرست انه كان فى أول أمره يدعو الى الرضا من آل محمد .

هى مسألة مختلف فيها اذن . ولذا اسقطتها من تقديرى .

وقد اخـذت من التاريخ شخصـيات معظم مسرحيتى ، فالشبلى من كبار الصوفية وكان صديقا للحلاج . وله شـهادة فى المحكمة . وقد استجوب الحلاج وهو على صليب الموت بهـذه الآية القرآنية « أو لم تنهك عن العالمين » . وكان ابراهيم بن فاتك مريده وخادمه وهو الذى روى لنا بعض فصـول كتاب « أخبـار الحلاج » اما القاضيان ابو بكر الحمادى وابن سريج فأولهما من قضـاة المـالكية المعروفين بتقربهم من الخلفاء والأمراء وثانيهما الفقيه الشافعى العظيم .

وقد اعدت صياغة أحداث التاريخ . وبخاصة وقد أقترنت تلك الفترة بالغموض الشديد . فاقتصرت على المحاكمـة الأخيرة وقد كان رأى ابن سريج فى كراهيته محاكمة الانسان فى تفاصـيل عقيدته مع الم الأراء التى وردت فى المحاكمة الأولى . فدفعت به الى المحاكمة الثانية . ورغم انه ـ على رواية انفرد بها ماسينيون ـ لم يكن احد قضاتها .

كما انى أيقنت منذ القراءة الأولى للمادة المروية عن الحلاج أن كثيرا من اخبار شطحاته ومعجزاته مبالغ فيها . خاصة وقد أصبح بعد موته وليا وقديسا ومهديا منتظرا عند بعض المسلمين . فكونت من الطواسين ومن شعره مذهبا تصوفيا ينسجم مع التصوف واصول العقيدة المتحررة معا .

(ب) نشأ المسرح شعريا . وأغلب الظن انه سيعود كذلك . رغم غلبة الطابع الاجتماعى النثرى منذ أواخر القرن التاسع عشر . ولكن الايماضات الشعرية التى تتخلل المسرح النثرى الآن تؤذن بعودة الشعر الى المسرح . وليس الأسلوب النثرى المحكم — كما قال احد النقاد — الا محاولة الاقتراب من الشعر فى تركيزه وموسيقاه .

وقد واجهتنى مشكلة الموسيقى . ولأهل الولع بالعروض أقول انى استعملت فى مسرحيتى هذه اربعة ألوان من التفاعيل :

أولاها : تفعيلة الرجز « مستفعلن » بما يجوز أن يدخلها من التحويرات .

ثانيا : تفعيلة الوافر « مفاعلتن » وقد كان العروضيون الأقدمون يجيزون فيها اسكان الخامس المتحرك . فتصبح « مفاعلين » ولكنهم يستكرهون حذف السابع لتصبح « مفاعيل » وان كانوا لا يحرمونه . وقد وجدت اللغة المسرحية تحبه وترتاح اليه احيانا . ولعل هذا هو ما اريد ان الفت له . وهو أن الكتابة للمسرح الشعرى ستدخل على موسيقى العروض نوعا من الطواعية .

وثالثها : تفعيلة المتقارب « فعولن » .

ورابعها : تفعيلة المتدارك « فعلن » المحورة عن فاعلن . شاع استعمال هـذه التفعيلة فى شعرنا الحديث . وهى اقرب الى لهجة الحوار من الرجز . وفيها موسيقية راقصة وخاصة اذا تكونت من متحرك فساكن فمتحرك فساكن . ولكنها ان حركت آخر حروفها احيانا . وهـذا ما لم يجزه الأقدمون . اصبحت ذات ايقاع جـاد . وانكسرت الحركة الراقصة لتحل محلها تناوبات موسيقية متماوجة .

وتحريك الحرف الأخير يمارسه جميع من يكتبون الشعر الحديث رغم تحريم الأقدمين له .

وهذه هى المحاولة الأولى . ولاشـك ان المسرح الشـعرى سيطور عروضه .

ص٠ع

رقم الإيداع ٧٤١٩/ ٩٦
الترقيم الدولى I.S B.N. 977- 01- 4859- 8

مكتبة الأسرة



بسعر رمزى جنيه واحد
بمناسبة

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٦

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب